وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة يحيى فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية و الإجتماعية
قسم التاريخ

الحملة الصليبية الرابعة و انحرافها نحو القسطنطينية

(598هـ-600هـ/1202م-1204م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط

إعداد الطالبتين:
❊ فتيحة ريف
❊ مريم وزناوي

إشراف الأستاذة
❊ فصيمة سعودي

السنة الجامعية:1436هـ/1437هـ
2015 م- 2016 م

كلمة شكر

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين القائل في الحديث

الشريف :<< لا شكر لله من لا يشكر الناس >>

لا يسعنا في هذا المقام الا ان نحمد الله سبحانه وتعالى أن وفقنا على اتمام دراستنا وبحثنا هذا

ويطيب لنا أن نتقدم بجزيل الشكر ووافر الامتنان الى كل من ساعدنا في انجاز هذا البحث

ونخص بالذكر الاستاذة سعودي فهيمةعلى ما بذلته وقدّمته من نصح وإرشاد .

كما نتقدم بجزيل الشكر الى أساتذتنا عبر كل الأطوار من الابتدائي حتى الجامعي .

والى كل من ساعدنا في انجاز هذه المذكرة من قريب او من بعيد

إهداء

إلى كل من ترك بصمة في حياتي وغير من مجراها وعمق في توسيع مداركي العلمية والمعرفية

...لكل من لملم أحزاني بين فترة وأخرى ..

لكل من أشعرني بأنني لست وحيدة في مجتمع مختلف..

إهدائي إليك يا نبع الحب والحنان .. يا من كنت عونا ودفئا بين أضلعي ..

إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات إلى أغلى إنسان في هذا الوجود

إليك يا أمي الحبيبة...

إلى من عمل بكد في سبيلي وعلمني معنى الكفاح وأوصلني إلى ماأنا عليه، الذي علمني بأنه

عندما تطفأ الأنوار لا بد من إضاءة الشمعة ولا نقوم بلعن الظلام..أبي الحبيب

إلى الذين كانوا يدعمونني دائما و كانوا سندا لي إلى جميع إخوتي وأخواتي

و الى كل عائلتي الكل باسمه

إلى كل صدقاتي،إلى صديقتي التي قاسمتني تعب بحثي فتيحة.

الى كل من وسعه قلبي و لم يسعه قلمي

مـــــريـــــــم

إهداء

أهدي هذا العمل

إلى القلب الرؤوف و الإحساس المرهف الوجود ؛ الذي لا تكدر حنانه دلائل ؛ فصانتني بدعائها و لولا ذلك ما وفقنا في مبتغانا إليك أمي الغالية .

إلى من سعى وشقي لأنعم بالراحة و الهناء ؛ فلم يبخل علي بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح ؛ علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة و صبر و عدم اليأس ؛ إلى الصدر الرحب؛

صاحب الفضل علي إلى أبي الحبيب ..

إلى جميع إخوتي الذين كانوا سندا لي:عمار،محمد،لخضر،عمر،فاطمة،خلود.

إلى الأهل و الأقارب

إلى جميع صديقاتي: أسماء،نزيهة،كريمة، فطيمة،عائشة،فطيمة وأخص بالذكر زميلتي في العمل مريم. كل باسمه

إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد.

فتيحة.

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة يحيى فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ

الحملة الصليبية الرابعة و انحرافها نحو القسطنطينية (598هـ-600هـ/1202م-1204م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر 2في التاريخ الوسيط

من إعداد الطالبتين:الأستاذالمشرف:
مليكة غرداوي د.رابح واكد
كريمةكربال

السنة الجامعية 2015–2016

المقدمة

مقدمة:

عرفت العلاقات بين الشرق والغرب خلال فترة العصور الوسطى مرحلة من الصراع بين الطرفين وأطلق عليها باسم الحروب الصليبية التي شغلت الباحثين والدارسين، فتناولوها بالدراسة و التحليل من زوايا مختلفة، وكما اختلفت نظرة المؤرخين إلى تلك الحروب تبعا لاختلاف ميولهم ومفهومهم لها، ولازالت الدراسات تطلّعنا بين فئة وأخرى بآراء جديدة عن مفهومها وبدايتها ونهايتها، ولا يتسع المجال لذكر الآراء حول أسباب قيامها وماهيتها.

وعموما دامت الحركة الصليبية ثلاثة قرون من أواخر القرن الخامس الهجري إلى نهاية القرن الثامن الهجري (أواخر القرن الحادي عشر إلى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي)، أين تزعمتها دول الغرب اللاتيني، ومن بين هذه الحملات نجد الحملة الصليبية الرابعة.

تعتبر الحملة الصليبية الرابعة من بين الحملات المختلفة عن باقي الحملات الأولى، لما اتسمت به من طابع مميز في اتجاهها و مشاركيها، وما ترتب على انحرافها من نتائج التي ساهمت في تغييرالعلاقات بين ملوك غرب أروبا والإمبراطورية البيزنطية.

وقد استحوذت هذه الحملة على اهتمام عدد كبير من المؤرخين الذين حاولوا البحث عن أسباب انحرافها واتجاهها نحو القسطنطينية، من بينهم ستيفن رانسيمان ، بدلا من اتجاهها نحو مصر للإستيلاء عليها ثم السيطرة على الأراضي المقدسة كما كان مقررا لها.

ومن جملة الأسباب التي دعتلاختيارنا هذا الموضوع هو التعرف على أحداث هذه الحملة ومعرفة أسباب انحرافها نحو القسطنطينية، لذلك ارتأينا البحث في هذا الموضوع الموسوم"**انحرافالحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية**".

يعتبر موضوع الحملة الصليبية الرابعة من المواضيع الهامة لدراسة تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، كون هذه الحملة في بدايتها كانت تهدف للسيطرة على بيت المقدسغير أنّها غيرت مسارها بفعل الدوافع التجارية للبنادقة وكذلك الأطماع السياسية والمادية لقادتها فكان سببا لتغيير وجهتها نحو القسطنطينية التي سقطت على أيديهم و نهبت من طرفهم.

وللإلمام بجوانب هذا الموضوع نطرح الإشكالية التالية:ماهي الأسباب الحقيقية لانحراف الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية؟و التي تبنى عليها مجموعة من التساؤلات:هل هي بدافع شخصي أم مادي؟ ومن المسؤول عن هذا الانحراف؟ وما هي النتائج المترتبة عن ذلك؟

بعد جمع المادة وترتيبها اتبعنا المنهج التحليلي الوصفي الذي اقتضته طبيعة الموضوع دون إهمال مقارنة النصوص العربيةالإسلامية والنصوص الأجنبية.

وللإجابة عن هذه الإشكاليات قسمنا الموضوع إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة، ذكرنا في المقدمة أسباب وأهداف اختيار الموضوع،ثم دراسة أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها، وما هي الأهمية وراء كل ذلك مع ذكر الصعوبات التي واجهتنا أثناء البحث.

تناولنا في المبحث الأول الذي هو بمثابة المبحث التمهيدي" ماهية الحروب الصليبية"و اندرج ضمن هذا المبحث عنصران:تعريف الحركة الصليبية، والبحث عن الأوضاع العامة قبيل الحملة في كل من:الغرب المسيحي، المشرق الإسلامي.

أما المبحث الثاني فقد تطرقنا إلى "استعدادات الحملة وانطلاقها: (594،598هـ/ 1198، 1202م)"،وذكرنا فيه الأسباب المباشرة و الغير مباشرة، وسياسة البابوية في إعداد هذه الحملة و انحرافها نحو مدينة زارا التي كانت مدينة تجارية ومنافسة للبنادقة في حوض البحرالأبيض المتوسط.

أما المبحث الأخير فقد ذكرنا فيه تغيير مسارالحملة نحو القسطنطينية و ذكرنا فيه دوافع انحرافها: دوافع البنادقة، الملك الألماني فليب السوابي، وخط سيرهانحو القسطنطينية، ثم محاصرتها وأهم النتائج المترتبة عن هذه الحملة.

– الدراسات السابقة:

– ابن الأثير عز الدين(ت630هـ،1233م)، **الكامل في التاريخ**،راجعه، محمد يوسف الدقاق ج،10 ط 4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003،تناول فيه سقوط القسطنطينية على أيدي اللاتين وأعمال السلب و النهب التي تعرضت لها المدينة على أيدي الصليبيين.

– المقريزي (ت665هـ،1442م)، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تح، محمد عبد القادر عطاء ج1،ط1، دار الكتب العلمية،بيروت،1997، ذكر فيه المناوشات بين المسلمين و الصليبيين أثناء فترة الحملة الصليبية الرابعة.

كما اعتمدنا على مصدرين أجنبين هما:

- Geffroui de ville Hardouin de la conquête de Constantinople, edit, Gie Boulevard Saint Germain, Paris, 1870.

– وهو من أهم المصادر الأوروبية المعاصرة للحملة الصليبية الرابعة، و ترجع أهمية هدا المصدر إلى أن فيلهاردوين كان شاهد عيان من واقع الأحداث. فقد كان مستشار قائد الحملة الماركيز بونيفيس أوف منتفرات، وقد احتوى كتابه على وصف دقيق لكافة أحداث الحملة الصليبية الرابعة منذ بداية الإعداد لها، فهو كان أحد المفاوضين الذين أرسلوا للبندقية من أجل استئجار السفن، وأحد المشاركين في اتخاذ القرارات التي اتخذها قادة الحملة ، كما كان شاهدا على سقوط العاصمة البيزنطية في أيدي الصليبيين في عام1204م.

-Clari Robert ; la conquête de Constantinople, edit par lauer, Paris, 1924.

-و هو أحد الفرسان،اشترك في الحملة الصليبية الرابعة و دون أحداثها منذ البداية و حتى سقوط القسطنطينية.

ب – المراجع:

- اسمت غنيم،**الحملة الصليبية الرابعة**،(د،ط)، دار المعارف، القاهرة، 1982م، و كونه كتاب متخصص أفادنا كثيرا في معرفة أحداث و وقائع الحملة وأسباب انحرافها نحو القسطنطينية.

- وكذلك محمود سعيد عمران، **تاريخ الحروب الصليبية**، (د،ط)، دار المعرفة الجامعية، السويس،2000م، و هو من أهم المراجع التي تخص الموضوع خاصة ما تعلق بفترة سيطرة الصليبيين على القسطنطينية.

- أما الصعوبات التي واجهتنا فتتمثل في قلة المادة العلمية التي تخص بحثنا هذا، و ذلك من خلال صعوبة الحصول على بعض المصادر المهمة، ، وندرة الموضوع للدراسات العربية المتخصصة، وهذا ماصعّب علينا الانطلاق في العمل مباشرة حتى بعد فترة من الزمن هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن جل المصادر العربية لم تتطرق لهذا الموضوع كون الحملة لم تتجه إلى المشرق.

المبحث الأول: ماهية الحروب الصليبية.

1 – جذورالحروب الصليبية.

2 - مفهوم الحركة الصليبية.

3 - أوضاع الغرب المسيحي قبيل الحملة الصليبية الرابعة (588هـ-596هـ/ 1192م-1200م).

4 - أحوال المشرق الإسلامي قبيل الحملة الصليبية الرابعة.

I. ماهية الحروب الصليبية

1 . I. جذور الحروب الصليبية:

ظهرت جذور الحروب الصليبية من خلال خطاب[1] البابا أوربان الثانيUrban II (481هـ-492هـ)(1088م-1099م) الذي ألقاه في حشود المستمعين من الكهنة و الفرسانو عامة الناس الذين اجتمعوافي سهل**أوفيرن بكليرمونت** ببرغنديا الواقعة جنوب فرنسا في (26 ذي القعدة 488هـ/27 نوفمبر 1095م)،وكانت هذه الخطبة خاتمة مجمع ديني عقده البابا و عدد من الأساقفة لمناقشة أحوال الكنيسة الكاثوليكية [2].

و كانت هذه الحركة واحدة من القوى الكبرى ،التي حركت تاريخ الغرب الأوربي مابين سنة (488هـ-800هـ/1095م-1400م)،أما العالم الإسلامي فقد كان الطرف الذي وجهت إليه أوربا الكاثوليكية عدوانها تحت راية الصليب،و أقامت فيها عدّة مستوطنات صليبية في الأراضي المقدسة، وأعالي بلاد الشام و الجزيرة،وكانت الحروب الصليبية أو حروب الفرنج كما سماها العرب الذين عاصروها سببا رئيسيا من أسباب تعطل قوى الإبداع الحضارة العربية الإسلامية [3] .

ارتبط اسم هذه الحركة بالصليب بعد قرن و نصف قرن من حدوثها،و لم يرد مصطلح الصليبية في الحملة الأولى،و لم يظهر هذا المصطلح سوى في أواخر القرن 6هـ/12م،إذ ظهرت

---

[1] للإطلاع على خطاب البابا أوربان الثاني أنظر:فوشيهالشارتري،**تاريخ الحملة إلى القدس**،تر،زياد العسلي،ط1،دار الشروق،بيروت،1990م،ص ص35،33.

[2] قاسم عبده قاسم،**ماهية الحروب الصليبية**،(د،ط)،دار روتابرينت،القاهرة ،1993م،ص15.

[3] مصطفى وهبه،**موجز الحروب الصليبية**، ط1،دار الإيمان،المنصورة، 1997م،ص6.

الكلمة اللاتينية (Crusesignati)،ومعناها الموسوم بالصليب،و ذلك لأنهم كانوا يخيطون صلبان القماش على ستراتهم[4].

ظهرت شارة الصليب في الحملة الصليبية الأولى،ويظهرهذا في قول المؤرخ فوشيه الشارتري في قوله"كم أسعد نفوسنا أثلج صدورنا،أن نرى هذه الصلبان المصنوعة من الحرير...أو أي نسيج فاخر آخر،وقد حاكها هؤلاء الحجاج،فرسانا و عامة على أكتاف أرديتهم . لقد فعلوا ذلك إطاعة لأمر البابا أوربان حال حلقّانهم القسم بالذهاب، كان من اللائق أن يقوم شعار الربو رمز انتصاره ، بحماية و تثبيت هوية جنوده الذين كانوا يتجهزون في سبيل الدفاع عن عزته،و بمأنهم زينوا أنفسهم بشعار دينهم هذا، فإنهم في النهاية أحرزوا من الرمز الحقيقة بحد ذاتها..."[5].

شعر الأوربيون بضيق الحياة و شدة وطأة الكنيسة و رجالها، و كذلك الفوضى و انعدام الأمان ، ممّا جعل الأوربيون يرغبون في التخّلص مما فرض عليهم من قيود و التطلع إلى حياة أفضل و كان من المتعذر في ظل الأوضاع التي أحاطت بأهل غرب أوربا في ذلك الوقت تحقيق مثل هذه الأماني إلا بالمشاركة في حركة ضخمة مثل الحركة الصليبية، تدعو لها البابوية و تبشر لها الكنيسة[6].

و في هذه الفترة، كان الأوربيون يعيشون حياة صعبة ، فالأوضاع كانت مزرية بسبب تناحر أمراء فرنسا و ألمانيا في حروب لاتنقطع[7]، كان العالم القسّي غارق في الرذيلة-الغرب الأوربي-يسير في طريق خطر خاسر ، و يسير في هوة أشد عمقا لتخليه عن كل احترام وواجب لله و للإنسان وراح يجري وراء كل ما دنسته الخطيئة، و هذا ما جاء في وصف ويليام الصوري لأوضاع الغرب

---

[4] قاسم عبده قاسم،**المرجع السابق**،ص16.

[5]فوشيه الشارتري،**المصدر السابق**، ص37.

[6]جوناثان ريلي سميث، **الحملة الصليبية الأولى و فكرة الحروب الصليبية**، تر، محمد فتحي الشاعر، ط2، الهيئة المصرية، مصر، 1999م، ص 16.

[7]فوشيه الشارتري،**المصدر السابق**، ص32.

الأوربي في هذه الفترة، التي عرفت كذلك سيطرة الأباطرة على رجال الكنيسة، الذين عانوامن معاملاتهم، و كانوا على الدوام عرضة للخلع من مناصبهم ، وتعيين غيرهم في أماكنهمودخولهم السجن و مصادرة كل ما يملكون [8].

سمي في البداية من يشارك في هذه الحملات باسم حجاجPreregrinitالتي وردت في مؤلفات اللاتين [9]، الذين عاصرو الحملة أمثال ": ويليام الصوري "[10]،وكانت شائعة في الفترة الأولى من الحركة الصليبية لفظةPeregrinatioو معناها"رحلة الحج"، و كذلك استخدمت كلمة Expeditio، التي تعني الحملة، و في الفترة الأولى للحملات وردت لفظة حملة و حجاج بيت المقدس و الفرنج ، و ظهر مصطلح الحرب المقدسة في القرن 17م للمؤلف "توماسفولر"و كانت أول دراسة[11].

معظم المؤرخين المسلمين الذين عاصروا الهجوم الصليبي على بلاد الشام وكتبوا عنها:ابنالأثير. و ابن واصل، و المقريزي، و القلقشندي... لم يستخدموا كلمة الصليبية أو الحملة الصليبية، وإنما تكلموا عنها بعبارات "الفرنجة"و كانوا يفرقون بين العناصر المشاركة في الحملات ضدهم، فابن الأثير يذكر على سبيل المثال الفرنج من الألمان، كما يصفهم بأنهم من الفرنجة الأكثر قوة و بأسا في الحروب[12].

---

[8]ويليام الصوري، **الحروب الصليبية**، تر، حسن حبشي، ج1،الأهرام ، القاهرة،1991م، ص 9596.

[9]لمعرفة مؤرخي الحروب الصليبية، أنظر:محمد مؤنس أحمد عوض، **فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية**، ط1، دار روتابرينت، 1996م، ص26 و مابعدها.

[10]ولد في عام 1130م، و يعد من المؤرخين الأوربيين ، كما شغل عدة مناصب ماجعله يلم بالأحداث التي أرخ لها ، وكان مشرفا على ديوان الرسائل في بلاط مملكة بيت المقدس، إلى جانب شغله لمراكز دينية حتى بلغ درجة الكهنوت، و صار رئيس أساقفة صور 1175م، و هو صاحب كتاب الحروب الصليبية، الذي يعد من أهم المصادر في تاريخ الحروب الصليبية، و هويعالج الفترة التي امتدت من عام 1094مإلى عام 1184م،أنظر:ويليام الصوري، **المصدر السابق**، ص9و ما بعدها.

[11]قاسم عبده قاسم، **المرجع السابق**، ص 15.

[12]ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ**، تح: محمد يوسف الدّقاق، ج10، ط4، بيروت، 2003، ص193.

2 . I. مفهوم الحركة الصليبية:

تعددت الآراء حول تعريف الحركة الصليبية، فرأت مجموعة من المؤرخين أن الحروب الصليبية تمثل حلقة من حلقات الصراع الطويل بين الشرق والغرب، وهو الصراع الذي ظهر بين الفرس واليونان وفيما بعد بين الفرس والإمبراطورية الرومانية والبيزنطية، ويمكن تفسير أسباب هذا الصراع بالصراع الحضاري، ويرى أنصار هذا الرأي، أن النزاع بين الشرق والغرب تارة يزداد حدة وتارة أخرى يقل إلى أن اشتدت حدته نهاية القرن11م، وما زاد من حدته الصراع الديني بين الإسلام والمسيحية[13].

ويرى فريق آخر من المؤرخين وعلى رأسهم"King"أن الحركة الصليبية ليست سوى الحلقة الأخيرة من سلسلة الهجرات الكبرى التي صاحبت انهيار الإمبراطورية الرومانية في الغرب عام 476م ذلك أن سقوط الإمبراطورية أعقبته موجات من الهجرات التي تفاوتت في مداها واتجاهاتها وأثرها، فقد كان يقال للناس في غرب أروبا أن الإمبراطورية هي الدعامة الكبرى التي لا يمكن للعالم أن يحيا بدونها،ومن هنا كان مبلغ الفزع الذي انتاب غرب أروبا بعد سقوط الإمبراطورية، ونادى البعض أن ذلك يعني نهاية العالم[14].

يضاف إلى ذلك أن تدفق الهجرات داخل الإمبراطورية ترتب عليه قيام مجتمع جديد سادت فيه المسيحية و دعمه الجرمان بدماء جديدة وحيوية ظهر أثرها في معظم الهجرات التي اتجهت إلى انجلترا و صقلية و جنوب إيطاليا و شمال إفريقيا[15].

---

[13] محمود سعيد عمران، **تاريخ الحروب الصليبية**، (د، ط)، دار المعرفة الجامعية، السويس، 2000، ص13.

[14] نفسه.

[15] محمد مؤنس عوض ، **الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق و الغرب**، ط1، دار عين، مصر الجديد، 1999، ص16.

و الحركة الصليبية في نظر فريق ثالث من المؤرخين ليست إلا انتفاضة كبرى نتجت عن عملية الإحياء الديني التي قامت في أوروبا في القرن5هـ10م، و بلغت ذروتها في القرن 11م، ذلك أن الحركة الكلونية في حقيقة أمرها حركة إحياء ديني[16](بكل ما في العبارة من معنى)، ترتب عليها عودة البابوية إلى سطوتها القديمة و إثارة نوع من الحماسة الدينية في الغرب بوجه عام، الأمر الذي ترتب عليه ظاهرة الحج الجماعي للأراضي المقدسة، وليست الحرب الصليبية إلا استمرار لظاهرة الحج الجماعي إلى بيت المقدس، مع حدوث تطور في الأسلوب، وهو أن الحج أصبح حربيا بعد أن كان سلميا[17].

و يرى رواد هذه النظرية بأن مجموعة من الحجاج خرجت في عام 1064م، تحت زعامة أحد الأساقفة قد بلغوا سبعة آلاف، حمل بعضهم الأسلحة للدفاع عن أرواحهم من مخاطر الطريق، أما التصور في الأسلوب فيرجع إلى الأخبار التي بدأت تصل إلى الغرب الأوروبي عن سوء معاملة الحجاج المسيحيين بعد استيلاء السلاجقة على بيت المقدس عام1071م، ثم استيلائهم على مدينة أنطاكية سنة 1085م، و طرد البيزنطيين منها، الأمر الذي جعل الغرب الأوروبي يؤمن

---

[16]نبع الإصلاح الديني من دير كلوني بيرجنديأوائل القرن 10م، و كان يهدف أول الأمر إلى نشر العفة و التقوى و النظام في الأديرة، ثم اتسعت الحركة الإصلاحية حتى أضحت منهجا للإصلاح الكنسي العام على أن ليو التاسع (1048م1054م) نظر إلى البابوية على أنها هيئة عالمية ذات سلطان مطلق، و سمو غير محدود، و استقلال تام، و تفويض الهي بالرقابة الروحية، و رأي البابا جريجوري السابع الذي ولي البابوية سنة 1073م، إن العالم بأسره دولة مسيحية واحدة يسيطر عليها البابا، له العصمة، و له القدرة، و لا يحده القانون، و هو الذي يخلع المسئين من الملوك، و يقطعهم من رحمة الكنيسة، و يحل رعيتهم من طاعنهم، ونادى بضرورة إنشاء قوة حربية خاضعة لسلطان الكنيسة الكاثوليكية، و هذا البابا هو الذي رأى ضرورة امتداد الحرب ضد المسلمين في الشرق. أنظر: أرنست باكر، **الحروب الصليبية**، تر:السيد الباز العريني، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، 1967، ص9.

[17]محمود سعيد عمران، **المرجع السابق**، ص15.

بضرورة استخدام القوة لتأمين عملية الحج من أوروبا إلى الأراضي المقدسة فكانت الحروب الصليبية[18].

و نادى جانب من المؤرخين بان الحروب الصليبية هي الوسيلة التي تحايل بها الغرب الأوروبي للخروج من أنماط العصور الوسطى و الانطلاق إلى حياة أوسع و أرحب، ذلك أن الاتصال الذي تم بين الشرق و الغرب أظهر لأهل أوروبا أن الحياة أوسع مما يعتقدون، و بالمقارنة بين مايحياه أهل الشرق و أهل غرب أوروبا[19].

و من خلال ما طارحناه يمكن الوصول إلى تعريف أو مفهوم للحركة الصليبية بأنها حركة استعمارية اتخذت شارة الصليب لإعطائها شرعية دينية و مبررا للهجوم على بلاد المسلمين في بلاد المشرق الإسلامي، وجذورها نابعة من الأوضاع الدينية و الاجتماعية و الفكرية و الاقتصادية و كذلك السياسية التي عرفتها أوروبا الغربية في القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي

و اتخذت من الدين ستارا لتحقيق طموحها و أهدافها.

وكان السبب الرئيسي لهذه الحروب هو كرد فعل لتوسع المسلمين في غرب أروبا.

---

[18]عزيز سوريالعطية، **الحروب الصليبية و تأثيرها على العلاقات بين الشرق و الغرب**، تر، فليب صابر سيف، ط2، دار الجيل، القاهرة، 1988م، ص8.

[19]محمود سعيد عمران، **المرجع السابق**، ص14.

3 . I. أوضاع الغرب المسيحي قبيل الحملة الصليبية الرابعة8112–1200م:

كان الغرب الأوربي في نهاية القرن الثاني عشر يعيش نوعا من الاضطراب والمشاكل الداخلية وكذلك الحروب المستمرة بين أباطرته ما جعل أوربا في جانبها الغربي تشهد انقسامات وحروب بين ألمانيا وانجلترا وفرنسا.

3 .I. أ . أوضاع ألمانيا:

حكم هنري السادس ألمانيا (584–591هـ، 1190- 1197م) بعد وفاة أبيه فريدريك بربروسا[20] الذي توفي سنة 1184- 1190م غريقا في إحدى انهار آسيا الصغرى قبل أن يصل إلى الأراضي المقدسة،وورث هنري السادس عن أبيه فكرة الإمبراطورية متسعة الأطراف فقد أراد أن يكون المنصب الإمبراطوري وريثا في أبناءه وإلغاء مبدأ الانتخاب، هذا ما جعله يصطدم مع خصومه ومنافسيه،وعلى رأسهم هنري الأسد.[21]

تمكن هنري السادس من الحصول على موافقة الأمراء الألمان بان يكون خليفه على العرش ابنه فريديريك2[22].

---

[20] حكم من11211190م لقب بربروسا، وتعني ذو اللحية الحمراء، تولى الحكم بعد عمه كونراد الثالث،وفي سنة1189م قاد الحملة الصليبية الثالثة، إلى الأراضي المقدسة وكان هدفه استعادة بيت المقدس لكنه توفي غرقا وهو يعبر نهرا في آسيا الصغرى سنة1190م،انظر: اشرف صالح محمد سيد، **قراءة في تاريخوحضارة أوربا في العصور الوسطى**،ط1،دار الكتاب العربي، لبنان،2008،ص71.

[21] سعيد عبد الفتاح عاشور،**تاريخ أوربا في العصور الوسطى**ا (د،ط)، دار النهضة العربية بيروت 1986، ص334.

[22] ينتمي فريديريك للعائلة الملكية هوهشتوفن توج ملكا لايطاليا وعمره أربع سنوات وأصبح إمبراطور روما المقدس عام1215م،ونصب نفسه ملكا على القدس عام1229م، وأسس جامعة نابولي عام1224م وأصبحت جامعة ساليرنو من

وقامت حرب بين انجلترا وألمانيا في سنة 589هـ/1193م بين الإمبراطور هنري السادس، وتحالفت فرنسا مع ألمانيا ضد انجلترا وفي نفس السنة وقع ريتشارد ملك انجلترا أثناء عودته من الحملة الصليبية الثالثة في أسر دوق أستريا الذي سلمه بدوره إلى هنري السادس الذي أفرج عنه سنة 588هـ/1191م[23].

وبعدما تمكن هنري السادس من الحصول على موافقة الأمراء الألمان بان يخلفه على العرش ابنه فريديريك2، سنة582هـ/1196م،إلاّ أنه توفي وهو يستعد للحاق بالحملة التي وصلت طلائعها إلى بلاد الشام في سنة593هـ/1197م[24].

بعد وفاة هنري السادس كان ابنه فريديريك2، وهو في سن الثالثة من عمره ما جعل أمراء ألمانيا يرفضون حصول "فريديريك "على تاج ألمانيا وصقلية، وقامت والدته كونستانس الوصية عليه بالاحتفاظ بعرش نابولي وصقلية وان تدفع جزية سنوية للبابا، واستطاعت الملكة بأن تحكم نابولي وصقلية باسم ابنها فريديريك الصغير فأبعدت الموظفين الألمان الذين شكا منهم الأهالي[25].

وهذا الوضع جعل فليب دوق سوابيا عم فريديريك2، الذي تسانده فرنسا فتوجّه إلى ألمانيا من اجل الحصول على العرش لنفسه وأيده في ذلك حزب الجبليين وهم دوقات أسرة هوهنشتاوفنHehencsteufan[26] ، لكن حزب الجلف البابوي وهم أمراء ساكسونيا المدعومين

أفضل مدارس الطب في أوربا انظر:سعيد عبد الفتاح عاشور، **بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى**، (د،ط) ،دار الأحد البحيري، بيروت، 1977م، ص111.

[23] سعيد عبد الفتاح عاشور،**المرجع السابق**، ص346.

[24] محمود سعيد عمران،**الحملةالصليبية الخامسة**،(د،ط)، دار المعارف، الإسكندرية، 1985،ص89.

[25] أشرف صالح محمد سيد، **المرجع السابق**،ص76.

[26] أسرة من الأمراء في ألمانيا خلال العصور الوسطى، اعتلت العرش الإمبراطوري بين عامي1138 م1254م، واستمدت اسمها من قلعة شيّدت في ستاوفن بجنوب ألمانيا في القرن الحادي عشر ميلادي أنظر:أشرف صالح محمد سيد،**المرجع السابق**، ص70.

من الانجليز انتخب "اوتو اوف برونزويك"، وهو الابن الثاني لهنري الثاني ملك انجلترا، وبهذه الأوضاع سادت الحرب الأهلية بين كل من ألمانيا ولمبارديا[27].

كانت انجلترا تعيش نوع من الاضطراب وذلك بسبب ثقل الضرائب التي فرضها هنري السادس ملك ألمانيا بعد إطلاق سراح ملكها ريتشارد سنة588هـ/1194، فقد قدرت الفدية المطلوبة لإطلاق سراحه بمائة وخمسين ألف مارك فضية، ليدفع منها مائة ألف مقابل إطلاق سراحه، وأرغم ريتشارد على الموافقة على حكم مملكته كإقطاع تابع للإمبراطور الألماني ، لكن هنري السادس قبل وفاته ألغى هذه الالتزامات[28].

عرفت العلاقات الانجليزية الفرنسية توترا وحروبا منقطعة ، فالامبراطور الانجليزي فور عودته من الأسر بدأ حربا ضد الملك الفرنسي ، وذلك دفاعا عن الممتلكات الانجليزية في فرنسا[29].

في ظل الأوضاع السائدة في الغرب الأروبي قبيل الحملة الصليبية الرابعة ظهرت البابوية كطرف فعال وذلك لتهدءة الأوضاع ومع وصول البابا انوسنت الثالث سنة592هـ/1192م، وكان على درجة واسعة من العلم، فقد درس اللاهوت في باريس والقانون في بولونيا، وعند تنصبه على رأس البابوية سعى إلى حل مشاكل المماليك المتنازعة في أروبا الغربية ليسودها السلام كي يتمكن فيما بعد من توجيه حملة صليبية ضد بلاد الشام واستعادة بيت المقدس [30].

---

[27] محمود سعيد عمران، **الحملة الصليبية الخامسة،المرجع السابق،ص91**

[28]زينب عبد المجيد عبد القوي، **الانجليز والحروب الصليبية**، ط1، دار روتابرينت، القاهرة، 1996، ص140.

[29]نفسه.

[30]محمود سعيد عمران، **تاريخ الحروب الصليبية**، ص117.

عمل البابا على تهدءة الأوضاع بين فرنسا وانجلترا ففي عام 595هـ/1199م، أرسل" الكاردينال بيتر"، وأبرمت هدنة بين الملك ريتشارد والملك الفرنسي فليب أغسطس مدتها خمسة سنوات[31].

I. 3. ب . أوضاع بيزنطة قبيل الحملة الصليبية الرابعة:

شهدت بيزنطة عدة أخطار خاصة في عهد الإمبراطور إسحاق الثاني انجلوس584-594هـ/1185-1195م، وذلك نظرا للأخطار الخارجية،فالبلغار توغلوا عام 584هـ/1188م، داخل حدود الإمبراطورية وفشل إسحاق انجلوس في صدهم ما اضطره للدخول في مفاوضات وطلب الصلح، انتهى في الأخير بتوغل البلغار في المنطقة الواقعة من البلقان شمالا حتى نهر الدانوب[32].

عرفت الإمبراطورية البيزنطية ضعفا داخليا ما جعلها تفقد جزيرة قبرص التي استولى عليها ريتشارد قلب الأسد في سنة587هـ-1191م، وهو في طريقه إلى عكا مع قوات الحملة الصليبية الثالثة، وبضياع قبرص من يد البيزنطيين كان بداية لتقلص نفوذ الإمبراطورية شيئا فشيئا[33].

وشهدت بيزنطة في عهد الإمبراطور أليكسوس الثالث 1195-1203م، حروبا داخلية فبعد أن تخلص من القوات البلغارية وحاربهم سنة1195م[34]، وأثناء عودته قام بالقبض على أخيه إسحاق انجلوس و سجنه بعدها وأعلن نفسه حاكما على بيزنطة[35].

---

[31] زينب عبد المجيد، عبد القوي، **المرجع السابق**، ص142.

[32] محمد حسنين ربيع، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**،(د،ط)، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983، ص245.

[33] جوزيف نسيم يوسف،**تاريخ الدولة البيزنطية**، (د،ط)، دار المعرفة، الإسكندرية، 2005، ص259.

[34] محمد حسنين ربيع، **المرجع السابق**، ص246.

[35] ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص289.

و قام الإمبراطور الجديد بإغداق الأموال على منساعدوه في الاستيلاء على العرش، فأرهق خزانة الدولة، في الوقت الذي كانت قوة الإمبراطورية خارجيا تتضاعف، ولم يقم الإمبراطور الجديد بأي عمل ناجح ضد البلغار من شأنه إعادة أملاك دولته الضائعة في قبرص[36].

و من خلال هذا يتضح أن بيزنطة شهدت حالة من الضعف والتفكك لم تشهده من قبل.

4 . I. أحوال المشرق الإسلامي قبيل الحملة الصليبية الرابعة:

عرفت منطقة المشرق الإسلامي بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي سنة589هـ/1193م ظروفا عصيبة حيث كان الصليبون لا يزالون موجودين بالقرب منهم ، وخطر قدوم حملات صليبية جديدة أخرى ، كما أن وفاة صلاح الدين الأيوبي أحدث فراغا سياسيا كبيرا في منطقة مصر، وبلاد الشام[37]وقسمت مملكة صلاح الدين الأيوبي بين أولاده وأخوته وهذا تنفيذا لوصيته،فكان من نصيب ابنه الأكبر الأفضل الأيوبي دمشق والساحل وبيت المقدس وصرخد[38] وبانياس وهونين وجميع المناطق إلى الداروم[39]،بالإضافة إلى بصرى التي كانت بيد ابنه الملك الظافر وخضر وهو في خدمة أخيه الأفضل[40]، أما الملك أسد الدين شيركوه فتولى حمص والرحبة كما حكم الأمجد بعلبك وكلاهما في خدمة الملك الأفضل أيضا[41]، وكان حكم مصر من نصيب الابن الثاني لصلاح الدينالأيوبي وهو العزيز عثمان ، أما ابنه الثالث الملك الظاهر غياث الدين غازي فقد حكم

---

[36]محمد سعيد عمران، **الإمبراطورية البيزنطية و حضارتها**، (د،ط)، دار النهضة الغربية، بيروت، 2002، ص292.

[37]محمود سعيد عمران، **المرجع السابق**، ص85.

[38]هي ملاصقة لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة وولاية حسنة وواسعة.أنظر:ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج3،(د،ط)، دار الصادر،بيروت،1977، ص401.

[39] ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص224.

[40]ابن واصل، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تح، جمال الدين الشيال، ج3، (د،ط)، دار الهيئة المصرية، القاهرة، 1953، ص15.

[41] نفسه.

حلبوالمناطق المتاخمة لها مثل حارم وتل باشر ، وأقام محمود ابن تقي الدين على حماه وهو في خدمة عمه لظاهر[42].

أما فيما يتعلق بما ناله إخوة صلاح الدين الأيوبي فحصل أخوه سيف الإسلام حكم بلاد اليمن ،واحتفظ العادل[43] سيف الدين بالكرك والشوبك "تقع بالأردن"والرهاوسيمساط.

وقلعة جعبر وديار بكر وميافرقين[44] وتوزعت باقي البلاد والحصون على باقي جماعة من أمراء الدولة الأيوبية [45] وكانت وفاة صلاح الدين سببا في انهيار دولته ووحدة مملكته التي استطاع أن يحافظ عليها بقوة سلطانه ، لن ما آلت إليه الأوضاع من بعده كانت عكس ذلك إذ أصبحت مملكته عبارة عن ولايات إمارات منفصلة ومستقلة عن بعضها البعض، وظهرت المنازعات بين أفراد البيت الأيوبي وكان الصراع على من يكون هو الخليفة بعد صلاح الأيوبي ما أدى إلى ظهور الفوضى وعدم الاستقرار في بلاد الشام [46].

خلال هذه المرحلة من الإضطراب كان لابد من ظهور شخصية قوية تعمل على توحيد البيت الأيوبي تحت سلطانها وإعادته إلى الوحدة التي كانت عليها من قبل ، وتجلت هذه

---

[42] ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص226.

[43]هو الملك العادل أبو بكر أيوب ابن أيوب ابن شيركوه ،دخل القاهرة وملك الديار المصرية ودمشق وأعمالها من ربيع الآخرسنة596هـ، توفي بخربة اللصوص قرب دمشق في6جمادى الآخرة سنة 615هـ، وكان عمره 73سنة. أنظر:بيبرس المنصوري **مختصر الأخبار** ،تح عبد الحميد صالح حمدان، ط1، الدارالمصريةاللبنانية، مصر ، 1993،ص6.

[44] هي أشهر مدينة بديار بكر وتمتاز بمنازلها الحصينة المبنية بالحجارة والأجور وسميت بهذا الاسم نسبة لمن بناها.أنظر:ياقوت الحموي ، ج5، **المصدر السابق**،ص.236

[45]ابن واصل، **المصدر السابق**، ص31.

[46]حمدي عبد المنعم محمد حسين ، **دراسات تاريخ الدولة الأيوبية** ،(د،ط)، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2000، ص28.

الشخصية في الملك العادل أخو صلاح الدين الأيوبي ، وساعده الأيمن في الشؤون السياسية والعسكرية [47].

الملك العادل استطاع أن يستغل النزاع الذي حدث بين أبناء صلاح الدين ،فالملك الأفضل حاكم دمشق وهو أكبر الملوك من بني أيوب لم يستطع تسيير شؤون مملكته ،فقام بإبعاد أمراء أبيه وأصحابه ، وأقبل على اللهو والشراب تاركا أمور رعيته لوزيره ضياء الدين ابن الأثير[48] وهذا ماجعل أخاه العزيز حاكم مصر يخرج على رأس جيشه لمحاربته ، فانظم العادل إلى جانب ابن أخيه الأفضل ،وكاد الملك العزيز أن ينتصر على أخيه الأفضل في منطقة الفوار لكن الأفضل عاد إلى دمشق ودخلها في 5جمادى الآخر لسنة 590هـ /28ماي 1194م .

وعلم العزيز أنه لن يستطيع تحقيق طلبه، فتدخل الملك العادل وقصد الإصلاح بين الأخوين فطلب من العزيز أن يصالح أخاه فوافق وقام العادل بتزويجه إحدى بناته،وبذلك أثبت العادل أنه الشخصية المناسبة لحكم البيت الأيوبي والرجل الذي سيحافظ على مصالح المسلمين [49].

كانت مرحلة الهدوء بين الأخوة لم تدم طويلا ، فتجدد النزاع بين الأفضل والعزيز الذي أراد أن تكون له السلطة العليا على المملكة وطلب بأن تكون السكة والخطبة باسمه ،هذا ما أغضب الأفضل خاصة بعدما سمع بقدوم الجيش المصري تحت قيادة أخيه العزيز ،ما جعله يستنجد بعمه

---

[47] أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة**، علق عليه محمد حسين شمس الدين، ج6، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ،1992،ص145.

[48] هو من أهل الجزيرة صاحب كتاب "المثل السائل" وله أخوان فاضلان أحدهما عزالدين صاحب التاريخ المشهور وهو الذي نصح الأفضل بأبعاد أصحاب والده من الحكم .أنظر:ابن واصل ، **المصدر السابق**، ص10.

المقريزي،**السلوك في معرفة دول الملوك**، تح، محمد عبد القادر عطاء، ج1، (د،ط)،دار الكتب العلمية ، بيروت، 1997،ص232.

[49] نفسه ، ص265.

العادل الذي عمد على إضعاف جيش العزيز الذي كان يضم طوائف من الجنود الصلاحية والجنود الأسدية ،ونجح العادل في الإيقاع بين فرق الجيش المختلفة [50].

تطورت الأحداث فيما بعد، لقد أرادت بعض فرق الجيش انتزاع حكم مصر من الملك العزيزفبعثوا إلى الملك العادل طالبين منه المساعدة ،وكان هذا الأمر يحقق ما يطمح إليه منذ البداية فقام العادل برفع الحصار عن مدينة بلبيس[51]، التي كانت الجيوش قد حاصرتها وهي في طريقها إلى القاهرة، وتم بعدها عقد الصلح وعاد الملك الأفضل إلى دمشق ، وقام الملك العادل بالبقاء فيالقاهرة إلى جانب ابن أخيه الملك العزيز، وانتهز العادل فرصة وجوده في مصر فأمر ونهى وحكم وتصرف في كبير الأمور وصغيرها، استطاع الملك العادل والملك العزيز من دخول دمشق في26رجب 592هـ/25جويلية 1196م دون مقاومة من الأفضل [52]، وآل حكمها للملك العادل وبهذا تحقق ماطمح إليه العادل وهو أعادة توحيد مملكة صلاح الدين الأيوبي[53].

وكانت الإمارات الصليبية بالشام على علم بهذه المنازعات واستغلتها لصالحها، حيث قامت المملكة الصليبية 588هـ، 593هـ /Henry count champagn1197.1192أن يعيد

إلىمملكته قدرا من الأمن والطمأنينة ، ثم أن هذا الصراع لم يكن خافيا عن الغرب الأوربي مما أدى بهنري السادس إمبراطور ألمانيا 1197.1190م، وهو من أشد المتحمسين للحروب الصليبية إلى العمل على استعادة بيت المقدس وتحقيق أطماعه الواسعة بإخضاع الشرق اللاتيني والإمبراطورية البيزنطية للإمبراطورية العالمية المقدسة في الغرب فأعد حملة صليبية لهذا الغرض بقيادة كونراد رئيس

---

[50]أبو المحاسن، **المصدر السابق**،ص113.

[51] ابن واصل، **المصدر السابق**، ص 35.

[52]نفسه،ص38.

[53]أبو المحاسن، **المصدر السابق**،146.

أساقفة مينز وأدولف كونت هو لشتين وقد وصلت [54] طلائع هذه الحملة إلى عكا في أغسطس 1197م شوال 594هـ، وبذلك تجدد الصراع بين المسلمين والفرنج[55]، وكان وصول هذه الحملة في الوقت الذي يرى فيه هنري كونت شامباني أتباع سياسة الفرقة بين آل البيت الأيوبي بدلا من سياسة الحرب تقدمت الحملة بدون إذن هنري من عكة إلى الجليل للإغارة عليها[56]، ولكن العادل تمكن من رد القوات المغيرة ثانية إلى عكا كما تمكن من الاستيلاء على يافا في شوال 953هـ سبتمبر 1197م،امتلأت أيدي المسلمين بالسبي والغنائم[57]، ولم تحقق هذه الحملة ما كانت تطمح إليه فقد كان نشاطها محدودا إذ اقتصر على بعض الاشتباكات بين الطرفين وعلى هجوم المسلمين على مدينتي صور وصيدا وسقوط بيروت في يد الصليبين [58]، توقف نشاط الحملة بعد وفاة هنري [59] فقرر زعماءها العودة إلى أوربا ،وبعدها شرع عموري في اجراء مفاوضات مع العادل وانتهت بعقد هدنة بين المسلمين والصليبين في1يوليو 1198م، بمقتضاها كما أصبحت يافا للمسلمين و جبيل وبيروت للصلبيين واقتسام صيدا بين الطرفين[60].

بعد توقيع الهدنة وبخمسة أشهر توفي الملك العزيز في 20نوفمبر 1198م وكان العزيز قد أوصى بحكم مصر من بعده لابنه الأكبر المنصور ناصر الدين وكان في العاشرة من عمره ،ولكن الأفضل دخل مصر 595هـ / 1199م وحاول الاستيلاء على الحكم وأرسل إلى عمه العادل

---

[54] محمود سعيد عمران، **المرجع السابق**،ص89.

[55] ابن الأثير، **المصدر السابق**،ص247.

[56] محمود سعيد عمران،**المرجع السابق**،ص 89.

[57] ابن واصل، **المصدر السابق**، ص91.

[58] ابن الاثير، **المصدر السابق**،ص262.

[59] محمود سعيد عمران،**الحملة الصليبية الخامسة**،**المرجع السابق**،ص94.

[60] ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص264.

بطلب رأيه في الأمر ، لكن العادل أجابه بعدم التسرع وإلا يتعرض إلى ديار مصر إن كان قد ترك العزيز وصية من بعده [61].

وحدث صراع بين الملك العادل والأفضل في مدينة دمشق وفي النهاية تمكن العادل من الانتصار على ابن أخيه الأفضل مما اضطره للخروج من دمشق وعاد إلى مصر لكن العادل دخلها في الربيع الأخر سنة 596هـ ، أواخر يناير 1200م وعقد الصلح مع الأفضل الذي أخذ مناطق ميافارقينوحاني وجبيل جورا بالإضافة إلى صرخد ، وغادر مصر الى الشام [62].

أصبح العادل مسيطرا على معظم المماليك الأيوبية بعدما قضى على معارضة أبناء أخيه،ولكنه لم يرض بان يكون مجرد وصي على ابن العزيز المنصور ،لذلك قام بإحضار جماعة من الأمراء وأخبرهم بعدم قبوله بأن يكون مجرد أتابك صبي صغير وهو في السن الكبير[63]، وبعدها تمت الخطبة للعادل في 11شوال 596هـ/15جويلية1199م، وأصبح ملكا على الديار المصرية لبلاد الشام[64].

---

[61]أبو المحاسن، **المصدر السابق**، ص146.

[62]المقريزي، **المصدر السابق**، ص265.

[63]ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص269.

[64]المقريزي، **المصدر السابق**،ص266.

المبحث الثاني: استعدادات الحملة و انطلاقها(594هـ /599هـ 1199م/1202م)

1 أسبابها.

2 سياسة البابوية في الإعداد للحملة.

3 المفاوضات مع البنادقة.

4 انحراف الحملة نحو مدينة زارا.

II. الاستعدادات للحملة و انطلاقها(594ه/599ه- 1199م 1202م)

II.1 أسباب الحملة الصليبية الرابعة:

كانت فكرة الحملة الصليبية الرابعة قد ظهرت في قلعة "تيبالدكونت ديشامباني" في نوفمبر 596ه/ 1199م، حيث دار حديث بينه وبين أصدقائه[1]،تم على إثره استدعاء "فولك أسقف نيللي" [2]Fullk de neully، ليتحدث لهؤلاء الضيوف وتمكن "فولك" بفصاحته أن يثير حماس حماس الحاضرين الذين وعدوا بالاشتراك في الحرب، كما أن البابا "انوسنتالثالث"أعرب عن رغبته في الدعوة لحملة صليبية ضد المسلمين، 595ه/1198م.

II. 1 .أ . الأسباب المباشرة:

كانت أهم الأسباب التي دعت الغرب الأوروبي لإعداد حملة صليبية رابعة هو محاولة استرجاع بيت لمقدس من المسلمين، بعدما استطاع "صلاح الدين الأيوبي" يوم الجمعة 27 رجب 583ه/ 02 ديسمبر 1187م، من بعد أن بقي في أيدي الفرنجة إحدى وتسعون سنة[3].

إلا أن بعد وفاته في 17 صفر سنة 589ه/ 04 مارس1193م، قسمت الدولة الأيوبية بين أولاده وإخوته، هذا ما جعل الصليبين في الغرب الأوروبي يشعرون بالارتياح لما وصلت إليه حالة الممالك الإسلامية من التفكك والانقسام[4]، لكن هذا الانقسام لم يدم طويلا حيث استطاع الملك

---

[1]Geffroiu de Ville Hardoouin ,De la conquete de Constantinople, édit .,Gie Boulevard saint Germain,paris1870 . p2 .

[2] هو قسيس وواعظ كاتدرائيةالبابا انيوسنت الثالث في نوفمبر 1198م/ 596ه أمر بالدعوة لحملة صليبية بين شعوب أوروبا، توفي عام 598ه/ 1202م، انظر:محمد مؤنس عوض،**المرجع السابق**،ص263

[3] أبوشامة ،**الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية** ،ج4،ط4،دار الكتب العلمية ،بيروت،2002 ،ص212.

[4]عن انقسام الدولة الأيوبية، انظر:أبوالمحاسن،**المصدرالسابق**،ص109 وما بعدها.

الملك "العادل" اخو صلاح الدين الأيوبي من توحيد مصر والشام تحت سلطانه هذا ما القلق الغرب الأوروبي وعلى رأسهم البابوية، كذلك الإمارات الصليبية في بلاد الشام خاصة مملكة عكا وإمارة أنطاكية وطرابلس، لذلك أصبحت الضرورة تحتم عليهم الإعداد لحملة صليبية للقضاء على المسلمين ووحدتهم[1]، قبل أن يتمكن "العادل"من السيطرة على الإمارات الصليبية في الشام والقضاء على الوجود الصليبي في المنطقة نهائيا[2].

وكان من أهم الأسباب التي دعت البابا انوسنت الثالث دعوته للقيام بهذه الحملة هو محاولته محو العار الذي لحق بالغرب الأوروبي في الحملة الصليبية الثالثة على يد صلاح الدين الأيوبي[3]، ومحاولتهم استرداد بيت المقدس من أيدي المسلمين، لهذا قامت البابوية بالتحضير لحملة صليبية جديدة يكون هدفها الأساسي هو مصر بدل الاتجاه مباشرة إلى بلاد الشام كما فعلت في حملاتها الثلاثة السابقة.

كانت خطة الصليبين تتمثل بالتوجه بالحملة نحو مصر التي أصبحت زعيمة العالم الإسلامي خاصة في عهد الأيوبيين[4]، يؤكد الرحالة "ابن جبير" الذي زار المشرق الإسلامي زمن "صلاح الدين الأيوبي" ووصف حالة وأوضاع المصرين بقوله: " حيث إن الناس في الإسكندرية يعملون بالليل كما يعملون بالنهار، وأن الطلاب كانوا يفيدون إليها من كل مكان فيجدون المأوى والحمام والمطعم، كما أنها امتلأت بالمتطوعة والمجاهدين[5]، من خلال وصف ابن جبير تتضح مكانة مصر ودورها في الجهاد ضد الصليبيين في بلاد الشام.

---

[1] رمضان عبد العظيم، **الصراع بين العرب وأروبا**،(د،ط)، دار المعارف، مصر، 1983،ص 508.

[2] نفسه، ص 509.

[3] جيفري بروان، **تاريخ أوروبا الحديث**، تر، علي مرزوق، (د،ط)، الأهلية للنشر عمان، 2006، ص 222.

[4] أحمد الشامي، **صلاح الدين الايوبي** والصليبيون،ط1،مكتبة النهضة العربية ،القاهرة،1991،ص184.

[5] عبد المنعم ماجد، **الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية**، (د،ط)، دارا الفكر العربي، القاهرة ،1997، ص97.

كانت أهمية مصر كذلك تكمن في قوة أسطولها أشهرها أسطول الإسكندرية ودمياط عرفت باسم بحرية مصر، كان ثغر دمياط يحتوي على صناعات كبرى منها على الأخص صناعة بناء السفن الحربية الكبرى مثل صناعة الشواني[1]، فكان الأسطول الذي يخرج من ديمياط للجهاد يكون له في بلاد العدو صيت ورهبة[2].

وكان الناس في مصر يقدرون جهاد المقاتلة فيها، ويتبركون بدعائهم ويسمونهم المجاهدون في سبيل الله والغزاة في أعداء الله[3]، وكان المصريون هم الركيزة الأولى لجيش صلاح الدين الأيوبي في معاركهم ضد الصليبيين[4]، وحينما اختار الفرنجة عكا جعلوها الهدف الأول في سبيل استعادة بيت المقدس وحاصروها من البر والبحر، استدعى صلاح الدين من مصر خمسون شينيا من المراكب الحربية الكبيرة المزودة بالمنجانيقات القذافة وعلى ظهرها عشرة آلاف بحار مصري[5].

كان الموقع الجغرافي لبلاد مصر ولقربها من بلاد الشام يسهل عليها انطلاق المدد لبلاد الشام، فالمجاهدون من أنحاء بلاد المسلمين بمن فيهم المغاربة والأندلسيون يقصدون الإسكندرية أولا قبل أن يحملهم الأسطول المصري إلى الأراضي المقدسة[6].

---

[1] الشواني جمع شيني أو شونة وهي مراكب طويلة تحذف بثلاثة وأربعين مجداف وتحتوي على أهراء لخزن القمح وصهاريج لخزن الماء الحلو، ومزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم، انظر شهاب الدين أبو شامة،ا **لمصدر السابق**، ص 17. لاطلاع على أنواع المراكب بالتفصيل انظر: درويش التخيلي، **السفن الإسلامية على حروف المعجم**، (د،ط)، القاهرة، 1979.

[2] المقريزي، **المصدر السابق**، ص 313.

[3] نفسه،314.

[4] ابن الاثير، **المصدر السابق**،ص189.

[5] نفسه، ص190.

[6] عبد المنعم ماجد، **المرجع السابق**، ص 104.

II. 1. ب . الأسباب غير مباشرة:

ارتبطت الأسباب الغير مباشرة للحملة الصليبية الرابعة بالعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سادت أوروبا قبل الحملة ، فالعامل السياسي الذي ساعد على قيام الحملة هو دور البابا انوست الثالث فمنذ توليه البابوية عمل على فرض سلطانه على غرب أوروبا[1].

فالبابا انوسنت الثالث عاد إلى مبادئ قريقوري السابع، فشبه البابوية بالشمس والإمبراطورية بالقمر الذي يستمده نوره من ضوء الشمس وسعى لأن تكون سيادة البابوية على حساب الإمبراطورية وملوكها في الغرب الأوروبي[2].

وكان طموح البابا هو توسيع نفوذ الكنيسة الغربية ومحاولته الاستيلاء على بيت المقدس وتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية بزعامة البابوية في روما[3].

أما الجانب الاقتصادي فيعد من العوامل والأسباب التي دفعت الأوروبيين للقيام بهذه الحملة، وذلك نظرا للمكاسب والمنافع التي يتحصل عليها المشاركين في الحملة، أما العامل الاجتماعي كان يشمل مشاركة العامة من المجتمع، فالمنخرطين في صفوف الحملات الصليبية كانوا يهربون من وطأة الظلم الاجتماعي ومن دفع الديون وفوائدها إضافة بحثهم عن حياة أفضل من التي يعيشونها بالإضافة إلى التكفير عن خطاياهم بالاشتراك في هذا العمل المقدس[4]، فالبابا أعلن عن غفران الخطايا والذنوب لجميع المشاركين في الحملة الصليبية بموجب السلطة التي يمتلكها،

---

[1] محمود سعيد عمران،**تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق**، ص 140.

[2] عاشور عبد الفتاح،**تاريخ أروبا في العصور،المرجع السابق**، ص 348.

[3] حسنين محمد ربيع، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**،(د،ط)، دار النهضة العربية القاهرة، 1983، ص 250.

[4] محمود سعيد عمران، **المرجع السابق**، ص 140.

وكذلك أعلن الخلاص الأبدي سيكون جزءا للذين قدموا أموالهم للمقاتلين وأعفى الصليبين من دفع الضرائب[1].

2 . II. سياسة البابوية في الإعداد للحملة (594ه/ 599ه/ 1198م/ 1201م):

اعتلى كرسي البابوية سنة 594ه/ 1198م، البابا انوسنت الثالث، وكان طموحه أن تستعيد البابوية سيادتها السياسية في ايطاليا، وأن تكون البابوية على رأس الحركة الصليبية ضد الإسلام والمسلمين، وقد دعا إلى حملة صليبية يشترك فيها المسيحيون في الشرق والغرب من أجل الوصول إلى هدف واحد هو الإستيلاء على بيت المقدس[2] ، فبعد أن تولى منصبه وبوقت قصير دعا في منتصف سنة 594ه/ 1198م، للإعداد للحملة الصليبية الرابعة.

أرسل البابا إلى "ايمار" بطريريك بيت المقدس يأمره بإرسال تقاريرا مفصلة إلى روما عن الأوضاع في بلاد الشام، ومدى قوة حكام المسلمين بها، قام البابا باتصالات واسعة مع الأباطرة والملوك المسيحيين من اجل دعوتهم للاشتراك في هذه الحملة[3].

قام البابا انوسنت الثالث بمراسلة الإمبراطور البيزنطي أليكسوس الثالث يدعوه للمساهمة في هذه الحملة وترك الأمور الأخرى جانبا وهذا ما جاء في خطابه: " من يستطيع أن يفعل أكثر منك انظر قربك من الميدان حيث يجب أن تشتعل المعركة، ثروتك وقوتك ضع كل الاعتبارات الأخرى جانبا وجئ لمساعدة يسوع المسيح ووطنه الذي فاز بدمه، إن المسلمين سوف يفّرون أمامك وأمام جيشك وأنت يجب أن تشارك مع الآخرين في مساعدة البابوية"[4]، أرسل البابا رسلا

---

[1] محمد عوض، **المرجع السابق**،ص264.

[2] أحمد الشامي ،المرجع السابق،ص185

[3] اسمت غنيم، **الحملة الصليبية الرابعة**، (د،ط)، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص 57.

[4] ميخائيل زابوروف، **الصليبيون في الشرق**، تر، الياس شاهين، (د،ط)دار التقدم، موسكو1983، ص240

إلى القسطنطينية من أجل التفاوض على موضوعين، الأول تمثل في اشتراك البيزنطيين في هذه الحملة الجديدة، أما الموضوع الآخر تعلق باتحاد الكنيستين، لكن خطاب البابا لم يجد قبولا الإمبراطور ألكسوس الثالث ورد عليه بخطاب أوضح فيه أن الإمبراطور فريديريك بربروسا نقض قسمه وقاتل المسيحين كما لو أنه يقاتل المسلمين،كما أن الصليبين منذ بداية الحروب الصليبية قاموا بالاعتداء على الأراضي البيزنطية و رفعوا السلاح على المسيحي بها وأن من واجب البابا أن يردهم عن القيام بمثل هذه الأفعال، كما قدم الإمبراطور ألكسوس الثالث عهدا بأن يبذل كل جهده للعمل على استرجاع الأراضي المقدسة أما فيما يتعلق باتحاد الكنيستين، لم تسفر المفاوضات عن شيء وهكذا لم تحقق دعوة البابا انوسنت الثالث للإمبراطور البيزنطي للإشتراك في الحملة الصليبية الجديدة.

عمل البابا انوست الثالث على الجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية وكان أدل من يدعي الحق في إيرادات الكنسية ما جعل البابوية في عهدة تنعم بموارد ضخمة التي تم تحصيلها من الضرائب التي اشترك في دفعها العالم المسيحي الغربي وقد ارتبطت هذه الضرائب بتمويل الحروب الصليبية، ففي سنة 1199م اصدر البابا أمرا إلى جميع الأساقفة بان يرسلوا جزء من أربعين 1/40 من دخلهم السنوي إلى البابوية[1].

إضافة إلى الضرائب الأخرى التي جمعتها البابوية عند تعيين الأساقفة وغيرهم من كبار رجال الدين، إضافة إلى الأموال التي تحصلت عليها البابوية عن طريق بيع صكوك الغفران هذا ما جعل البابوية في بداية القرن 13م، تمتلك موارد مالية ضخمة[2].

---

[1] ميخائيل زابوروف، **المرجع السابق**، ص 241.

[2] ستيفن رنسيمان، **تاريخ الحملات الصليبية**، تر،نور الدين خليل، ج3، (د،ط)، مكتبة الشروق، القاهرة 2000، ص 152.

ومن أجل الإعداد للحملة كان لا بد أن يتم التبشير بها، وهذا ما قام به الوكيل الرئيسي للبابا هو "فولك أو نيويلي" الذي طلب من البابا أن يتجول في البلاد محرضا القروين على أن يتّبعوا أسيادهم في الحرب المقدسة، وقد لقي تيباد اوف شامباني قبولا عاما بأن يصبح قائدا للحملة، وكان معه أمراء من فرنسا أمثال بالدوين التاسع وكونت فلاندرز وأخوه هنري، ولويس كونت بالوا، وجيوفري الثالث وسيمون الرابع أوف منتفرات، وإخوتهم وانجوارد أوف يوف ورينالد أوف ، وجيوفريفيلهاردوين ، ولوردات آخرون اقل شأنا من شمال فرنسا، وأعلن أسقف أوتون ملازمته لمجموعة من الفرسان من أوفريني، وفي إقليم الراين الألماني أخذ أسقف" هاليرتشتادت "الصليب ومعهم الكثير من جيرانهم، وحذى حذوهم كذلك مختلف الوجهاء في شمال إيطاليا يتزعمهم بونيفاس ماركيز مونتفرات، واشتراكه أثار لدى البابا أَوَّل مشاعر الريبة حول هذه الحملة، لأن عائلة مونتيفرات أصدقاء وحلفاء لعائلة هوهشتاوفن، فبعد وفاة تيبالد أوف شامباني في مارس1201م، تم اختيار بونيفاس قائدا للحملة.

3 . II. المفاوضات مع البنادقة (598ه/ 599ه – 1201م/ 1202).

بعدما اتفق الصليبيون على أن تكون مصر هي وجهتهم في هذه الحملة الصليبية الجديدة لم يلبثوا أن واجهوا مشكلة تمثلت في نقص السفن اللازمة بنقلهم إلى مصر، هذا ما جعلهم يقصدون البندقية لإمدادهم بالسفن، وذلك نظرا لمركزها الكبير الهام، الذي كانت تتمتع به البندقية في هذه الفترة فقد ملكت أسطولا ضخما كانت تشارك به في النقل التجاري بين الشرق والغرب، ولطالما شارك هذا الأسطول في عمليات نقل الصليبيين إلى الشرق ولهذا السبب أرسل الصليبيون رسلهم إلى البندقية للاستعانة بأسطولها[1].

[1] اسمت غنيم، **المرجع السابق**، ص 61.

كان هؤلاء الرسل ستة أشخاص أحدهم هو فيلهاردوين[1]، ووصل هؤلاء الرسل إلى البندقية في الأسبوع الأول من فبراير 1201م، بعد أن قضى الرسل بالبندقية أربعة أيام حان موعد لقائهم بالدوق "هنري داندولو[2]. وبعد مرور ثمانية أيام تشاور الدوق مع رجاله، فعرض على الرسل شروطه وكانت تشتمل على أن تقدم البندقية سفنا لنقل أربعة آلاف وخمس مئة فارس وتسعة آلاف مقاتل وسفنا أخرى لنقل أربعة آلاف وخمس مئة فارس وعشرون ألفا من المشاة، وتعهدت البندقية بتقديم المؤن لرجال الحملة وخيولهم لمدة تسعة أشهر كل ذلك مقابل أن يدفع لها الصليبيون ماركان عن كل رجل وأربعة ماركات عن كل فرس، وبذلك يصبح مجموع ما يؤديه الصليبيون للبندقية خمسة وثمانين ألف مارك[3].

وبعد ما تشاور الدوق مع مستشاريه عرض على الرسل اقتراحه المتمثل في تقديم البندقية سفنا أخرى لنقل الجنود وتقدر بـ خمسينة غالية حربية تطوعا منها، كما تعهدت البندقية بتقديم المؤن لرجال الحملة لمدة تسعة أشهر[4].

في أفريل وقعت المعاهدة بينهم تقتضي بحصول البنادقة على خمسة وثمانين ألف مارك كولوني فضي، كما اشترطت البندقية أن تحصل على نصف ما تحققه الحملة من غزو وغنائم كما تم الاتفاق أيضا على أن يكون أسطول البنادقة معهدا لنقل الحملة الصليبية في موعد 28 يوليو 1202م.

---

[1]وهو مؤلف كتاب الاستيلاء على القسطنطينية ولد ما بين 1150م – 1154م، وكان والده فيلا ندي رجلا نبيلا من شامبين وفي سنة 1185م، أصبح هو المارشال على شامبين توفي ما قبل سنة 1218. انظر: سهيل زكار،**الموسوعة الشاملة فيتاريخ الحروب الصليبية**، الجزء العاشر، دمشق 1993، ص 14.

[2]انتخب للبندقية سنة 1192م، وهو ذو 85 عاما، وهو شيخ كبير أعمى، إذا ركب نقاد فرسه أنظر ابن الأثير **المصدرالسابق**، ص 289.

[3]Ville Hardouin,op .cit,p6

[4]محمود سعيد عمران، **تاريخ الحروب الصليبية، المرجع السابق**، ص 116.

لكن الأمور لم تسر كما كان متفقا عليه بسبب وفاة "ثيبولت" قائد الحملة وممولها في سنة 1201م، ولذلك عقد اجتماع في مدينة "سواسون" في يوليو من العام نفسه تم اختيار بونيفاسمونتفرات قائدا جديدا للحملة[1].

وفي يوليو 1202م شرع الصليبيون بالمجئ إلى البندقية قصد نقلهم إلى المشرق ولما اكتملت أعدادهم طلبوا من الدوق "داندولو" السفن المتفق عليها وهنا طالبهم الدوق بالمبلغ المتفق عليه من قبل المتمثل في خمسة وثمانين ألف مارك كولوني فضي، لكن الصليبين لم يستطيعوا جمع كامل المبلغ فقد استطاعوا تحصيل أربعة وثلاثين ألف مارك فقط من المبلغ المتفق عليه.

وهذا الوضع أقلق الدوق وجعله يصف الصليبين بأنهم مخادعين وقام بتهديدهم بأنه سيتركهم بدون مؤن فوجد الصليبيون أنفسهم منذ أن عسكروا في جزيرة "سانت نيقولا "التابعة للبندقية، يعانون من مضايقات من البنادقة خاصة بسبب نقص المؤونة ما جعل الأمراض تتفشى بينهم ويكونون عرضة للموت[2]

وبحلول سبتمبر 1202م، لم يكن لدى الصليبيين سوى الموافقة على، الشروط التي قد تفرضها عليهم البندقية، كما أن قائد الحملة "بونيفاسمونتيفرات" قد لحق بهم بعد زيارة قام بها للبابا انوسنت الثالث في روما لم يصادفها النجاح لذا كان مستعدا للتعاون مع البندقية[3].

وقد عمل البنادقة على تأجيج التوتر الذي حدث للصليبين بعد تأخرهم عن السير بالحملة إلى مصر، خاصة وان البنادقة منذ البداية لم تكن لديهم النية في مهاجمة مصر، فقد قاموا بعقد اتفاقية سنة 1202م مع الملك العادل مفادها أن يقوم الملك بتأمين المصالح التجارية للبنادقة

---

[1] محمود سعيد عمران،**المرجع السابق**،ص

[2]Calarirebert. La conquetedeconstantinople. Editee par lauer , paris,1924, p7

[3]مخائيل، زباروف، **المرجع السابق**، 242 .

ويسهل دخولهم إلى مرافئ الإسكندرية ودمياط ويمنحهم الحماية والمساعدة اللازمة لما يحتاجونه بالمقابل تتعهد جمهورية البندقية بأن لا تدعم أي حملة ضد مصر، خاصة وأن البنادقة كانوا يملكون عددا كبيرا من السفن، ما جعلهم لا يكونون طرفا أساسيا في أي حملة صليبية مقترحة كما أن البنادقة لم يرغبوا في المشاركة في الحملة الصليبية المتجهة إلى مصر بسبب المكاسب والأرباح التي كانوا يتحصلون عليها لقاء نقلهم للحجاج إلى الأراضي المقدسة، ومن نقل الإمدادات والحبوب من الغرب إلى الإفرنج المتواجدين في الشرق بالمقابل كانوا يبيعون الأسلحة إلى السلطان المصري، إضافة إلى بيع الخشب والحديد وبيعهم للعبيد في مصر، رغم أن البابا كان قد أصدر مرسوما يحرم على التجار الأوروبيين التعامل مع المسلمين وحرم عليهم تزويدهم بكل المواد التي تعينهم على قتال[1]، المسيحيين خصوصا المواد التي تصنع بها الأسلحة والمعدات التي تستعمل في الحروب، خصوصا ما تعلق بمواد الحديد والخشب[2].

والظاهر أن البنادقة لم يكن يهمهم رأي البابا بهذا الشأن فمصالحهم التجارية كانت دائما الأولى بالنسبة لهم.

وبسبب العلاقات التي كانت تربط تجار البنادقة بالمشرق الإسلامي نجد أن "الدوق داندولو" حاول الاستفادة من الوضع الذي وصل إليه الصليبيين في جزيرة "سانت نيقولا" فعرض على الصليبيين إعفاءهم من دفع باقي المبلغ المتفق عليه، مقابل ذلك أن يقوموا بمشاركة البنادقة في إخضاع مدينة "زار التي تمردت وأعلنت خضوعها لملك هنغاريا (المجر حاليا)[3].

---

[1] أحمد الشامي، **المرجع السابق**، ص 186.

[2] نفسه.

[3] أمين معلوف، **الحروب الصليبية كما رآها العرب**، تر، عفيف دمشقية، ط2، دار الفرابي، بيروت 1989، ص 276.

4 . II. انحراف الحملة نحو مدينة زارا (598هـ/ 1202م):

كانت الأوضاع والظروف التي عرفها الصليبيون أثناء إقامتهم في جزيرة سانت نيقولا التابعة للبندقية وعدم قدرتهم على جمع المبلغ المتفق عليه المتمثل في خمسة وثمانين ألف مارك فضي كولوني جعل دوق البندقية يستغل الوضع لصالح والاستفادة من هذا الوضع لتحقي رغبته للسيطرة على مدينة زارا[1].

كانت جمهورية البندقية وملك هنغاريا "المجر" تعرف حروبا متقطعة للسيطرة على المدينة وذلك راجع لأهميتها الكبيرة في الميدان التجاري[2].

كانت زارا منافسة تجاريا للبندقية في حوض الادرياتيكي، لهذا اعتبرتها البندقية خطرا يهدد مصالحها التجارية، كانت هناك عدة محاولات من جانب البندقية للسيطرة على مدينة زارا خلال القرنين (5- 6هـ/ 11- 12م) غير أنها باءت بالفشل، وفي سنة 582هـ /1186م انطوت تحت السلطة الهنغارية[3].

حاولت البندقية استعادة مدينة زارا عندما انتخب داندولوا دوقا للبندقية عام 588هـ/ 1192م حاول الاستيلاء عليها غير أنه فشل في تحقيق مسعاه[4].

كان على الدوق داندولو أن يجد سببا وذريعة ليوجه الحملة ضد زارا فأخبرهم بأنهم في فصل الشتاء ولن يستطيعوا الذهاب إلى الأراضي المقدسة، التي كان من المفروض أن يتخذوا طريقهم إليها قبل حلول هذا الفصل وأن الصليبين هم المسئولون عن هذا التعطيل وأنه من الأفضل لهم أن

---

[1] اسمت غنيم، **المرجع السابق**، ص 61.

[2] ستيفن رانسيمان، **المرجع السابق**، ص 158.

[3] محمد مؤنس عوض، **المرجع السابق**،**ص**264.

[4] نفسه، ص 265.

يتعاونوا مع البنادقة للاستيلاء على زارا، التي ستمدّهم بالكثير من المؤن ليتزودوا منها خلال[1]رحلتهم بعد ذلك إلى الأراضي المقدسة[2].

طالب الدوق من البارونات بأن يؤجلوا دفع مبلغ من خمسة وثلاثين ألف مارك فضي التي يدينون بها للبنادقة مقابل مساعدتهم في استرداد مدينة زارا، رغم وجود الكثير من الاعتراضات من المشاركين في الحملة، إلى أنه تم التوصل إلى االإتفاق في النهاية[3].

قبل الذهاب إلى زارا أعلن الدوق عن رغبته في اتخاذ شارة الصليب والانضمام إلى الحملة الذاهبة لتحرير قبر المسيح خطب فيها خطبة مؤثرة، أوضح فيها رغم عجزه وكبر سنة إلا أنه قرر أن يصحبه إلى الأراضي المقدسة في فلسطين وإما أن يعيش معهم أو يموت بينهم، وفي كنيسة سان مارك في البندقية احتفل باتخاذه شارة الصليب[4].

اتجهت الحملة في 598هـ / 08 أكتوبر 1202م، نحو المدينة عن طريق حمل الجنود في سفنها وصلوا أمامها في 10 نوفمبر 1202م، وفي اليوم الموالي بدأ حصارهم لها[5].

أصيب سكان المدينة بالهلع عند رؤيتهم لهذا الأسطول العملاق فبادروا إلى إغلاق أبواب مدينتهم للدفاع عن أنفسهم، وبما أن أهل زارا كانوا يعرفون معرفة يقينية درجة كراهية البنادقة لهم، فقد حصلوا على منشور من روما فيه قرارا الحرمان لكل من تحدثه نفسه بمهاجمتهم أو إلحاق الضرر بهم[6].

---

1 Calarirebert ,op,cit, p10.

2. Idem

3Ville hardouin, op,cit,p12

4. Idem.

5 اسمت غنيم، **المرجع السابق**، ص 70.

6Calarirebert, op, cit, 15

أثناء حصار الصليبيين لزارا قام أحد الإخوة السيستربشان[1]، بتحذيرهم من قتال المدينة، حيث أنها مسيحية وهم مسيحيون أيضا، ومتخذون شارة الصليب أيضا مما يعرضهم لغضب البابا[2].

أعلن الدوق أنه لن يتراجع عن أخذ ثأره من مدينة زارا، وأن ما من قوة أن تثنيه عن عزمه حتى وإن تمثلت بقرار الحرمان البابوي، وعند ذلك انصرف الرسل الذين حملوا منشور الحرمان للدوق وللحجاج، بعدها غضب دوق البندقية غضبا شديدا ولجأ إلى التهديد ليجبر الصليبين على مساعدته بعد أن شعر بترددهم وأخبرهم بأنه سيقوم بالاستيلاء على المدينة عن طريق الاتفاق مع أهلها وأن الصليبيين سيكونون بطبيعة الحال خارج هذا الاتفاق، عندئذ وافق البارونات على مساعدته[3].

دخل أسطول الصليبين مرفأ زارا المغلق بسلسلة حديدية، وفي 24 نوفمبر 1202م، بعد هجوم دام خمسة أيام احتل الفرسان مدينة زارا، رغم حصانة المدينة وقاتلوها وشددوا عليها الحصار حتى أدرك أهلها أنه لم تبق لديهم القدرة على المقاومة، فسلموا المدينة للصليبيين[4].

جراء ذلك نشب قتال عنيف بين البنادقة وجماعة كبيرة من الحجاج، دام طوال الليل ثم إلى منتصف النهار التالي، وبلغ القتال شدة عظمى حتى لم يعد بإمكان الفرسان الفصل بين

---

[1] هم جماعة من الرهبان التابعين لدير ستيو، في برجنديا الذي تم تأسيسه في سنة 1098م، بواسطة بعض الرهبان البندكتين الذين رغبوا في حياة أكثر خشونة وصلابة من الحياة الديرية السائدة آنذاك وكان هذا النظام الجديد محاولة لاتخاذ طريق وسط بين البنديكيةوالديؤريةالكلونية وانتشر هذا النظام في جميع أنحاء الغرب أوروبا بفضل جهود القديس رينارد (1091م – 53): انظر اسمنت غنيم،**المرجع السابق**، ص 70.

[2] نفسه.

[3] ville hardouin, op,cit, p 50

[4] ميخائيل زباروف،**المرجع السابق**، ص 255256.

المتحاربين إلّا بعد طول معاناة فصلوا بينهم، وأبرموا صلحا مشرفا بين الطرفين، أزال رواسب سوء النوايا من نفوس الفريقين[1].

[1]calari, rebert , op, cit, p 46

المبحث الثالث: انحراف الحملة نحو القسطنطينية (599هـ /600هـ1203م/1204م)

1 – دوافع انحرافها.

2 – مسارها نحو القسطنطينية.

3 – محاصرة القسطنطينية من طرف الصليبيين.

4 – نتائج الحملة الصليبية الرابعة.

III. انحراف الحملة نحو القسطنطينية(599هـ /600هـ 1203م/1204م)دوافع انحراف الحملة نحو القسطنطينية:

كانت الحملة الصليبية الرابعة منذ بداية الإعداد لانطلاقها قد حددت وجهتها نحو مصر، لكن عدم مقدرة الصليبيين على دفع المبلغ المتفق عليه أجرة للسفن، غيرت وجهتها في البداية نحو مدينة زارا وذلك لتحقيق رغبة البنادقة ولتحقيق مصالحهم رغم أنها مدينة مسيحية[1]، وبعد السيطرة على المدينة والمكوث فيها بسبب حلول فصل الشتاء، اتفق قادة الحملة على تغيير اتجاه الحملة نحو القسطنطينية ويورد فيلهاردوين سبب هذا التغيير هو المكوث الطويل في مدينة زار، وكذلك الانفاق الكبير لأموالهم، ونقص المؤونة بسبب طول تأخرهم، وبسبب ما سدوه من مبالغ مرتفعة أجدة للسفن، ولو ذهبوا إلى هناك لن يكونوا قادرين على انجاز شيء لعدم توفر المال والعتاد والمؤن للجيش والأعلاف للدواب، هذه الأسباب والذرائع التي جعلت الصلبين يفكرون في تغيير وجهة الحملة، لكن هناك دوافع وأسباب ارتبطت بقادة الحملة والمسؤولين عنها، جعلتهم يفعلون ما بوسعهم لاستغلال هذه الحملة لتحقيق طموحهم ورغباتهم، مستغلين العلاقات المتوترة بين الإمبراطوريات البيزنطية والغرب اللاتيني التي عرفت حالة من الكراهية بين الطرفين.[2]

III. 1 . أ . دوافع البنادقة:

عمل البنادق منذ اتفاقهم مع الصلبين على دفع مبالغ باهظة مقابل نقلهم إلى مصر إلى محاولة عرقلة وجهة الحملة إلى الأراضي المقدسة، فوجهوا الحملة أولا إلى مدينة زاراوهو أول انحراف للحملة، وبعدها عمل الدوق داندولو على تحفيز الصلبين لتوجه إلى القسطنطينية وذلك راجع إلى العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين البنادقة ومصر وكذلك بلاد الشام، فقد كانوا ينقلون

---

[1] ميخائيل زباروف، **المرجع السابق**، ص166.

[2] ville hardouin, op, cit, p 66

الحجاج إلى المشرق الإسلامي بالإضافة إلى إمدادهم بالأسلحة والخشب،[3] وكانوا يدفعون الضرائب عن سلعهم المتاجرين بها بالمقابل حصلوا على حرية التجارة في عموم الأراضي المصرية وبلاد الشام، ففي الإسكندرية كان للبندقي فندق تجاري وكانوا ينتقلون بحرية وبحماية جنودهم، وكانت تنقل منها البهارات والحديد وشتى أنواع التجارة الأخرى، خاصة مادة السكر التي اشتهرت بها مصر في العصور الوسطى[4]، ومعظم البضائع كانت تمر بالبندقية حيث يتم توزيعها إلى داخل أوربا عبر المرافئ النهرية على الراين والموانئ على بحر الشمال، كما أن التجارة ارتبطت بالحركة الصليبية ارتباطا وثيقا وذلك لاحتكار نقل الجيوش والسلع والبضائع مقابل مبالغ مالية كبيرة تستفيد منها الجمهوريات الإيطالية خاصة البندقية، وجنوة وبيزا، وسبب قوة البندقية في المجال التجاري يرجع أساسا لعلاقاتها التجارية الوثيقة مع المشرق الإسلامي[5].

بالإضافة إلى عقد معاهدة بسنة 599هـ/1202م مع الملك العادل تقضى بتعهد جمهورية البندقية على تسهيلات بدخول المرافئ المصرية في الإسكندرية ودمياط، فالتجار البنادقة انتهزوا الفرص ليستفيدوا من هذه الحملة بالإبقاء على علاقاتهم مع بلاد المشرق الإسلامي ومصر[6]، كما عملوا على تغيير وجهة الحملة صوب القسطنطينية التي ربطتها علاقات تجارية منذ القرن 5هـ/11من وتوطدت أكثرفيعهد الإمبراطور مانويل كومنيس539-577هـ/1144-1180م بعدما استفاد من أسطولها في حربه ضد النورمان بالمقابل حصلت البندقية على امتيازات تجارية في الأراضي البيزنطية، لكن مع مرور الوقت ازدادت قوة البنادقة ونفوذهم التجاري الذي اقلق البيزنطيين فاضطر الإمبراطور مانويل إلى عقد حلف مع منافسيها التجاريين من جزيرة بيزا وكذلك

---

[3] هنري بيرن،**تاريخ أوربا في العصور الوسطى** ،تر،عطي القوصي ،دار الهيئة المصرية ،القاهرة ،1996،ص32.

[4] سعيد النقاش، **الحروب الصليبية وما نتج عنها منعلاقات مع العرب والفرنج**، ص116117.

[5] فيكتر هايد،**تاريخ التجارةفي الشرق الادنى في العصور الوسطى**،مراجعة عز الدين فوده،ج1،دار الهيئة المصرية،القاهرة،1985،ص179.

[6] رمضان عبد العضيم، **المرجع السابق**، ص504.

مع جزيرة جنوة سنة 555ه/1169م وصودرت أملاكهم وسفنهم[7] وازداد العداء أكثر عندما أحرق الحي البندقي سنة 578ه/1182م وذلك بتحريض من الإمبراطورأندريقوس حيث سمح للعامة باغتيال الأجانب الغير مرغوب فيهم دون تمييز،[8] وكذلك كانت هناك أعمال عنف أعقبت مذبحة راح ضحيتها النساء والأطفال من اللاتين المقيمين في بيزنطة وأحرقت منازلهم،[9] وهبت ثرواتها وأحرقت الكنائس التي احتمى بداخلها السكان اللاتنيين، وخربت أحياء التجار الإيطاليين في القسطنطينية، لكن الأمور عادت إلى ما كانت عليه في عهد الإمبراطور الجديد إسحاق أنجلوس581-591ه/1185-1195م، الذي أعاد بوادر العلاقات بين بيزنطة والبندقية وذلك من أجل الاستفادة من أسطول البندقية في مواجهة خطر النورمان، وتوطدت العلاقات واستفادت الجمهوريات الإيطالية وبالأخص البندقية التي استرجعت ما فقدته من أموال وحصلوا على تعويضات مالية كبيرة من طرف الإمبراطورالكسوس، وفي عام 591ه/1195م، خلع إسحاق أنجلوس الحكم من أخيه الكسوس الثالث591-599ه/1195-1203م هذا الأخير قام بالتضييق على تجارة البنادقة وقرب إليه الجنوبيين والبيزيين فقد البنادقة امتيازات عديدة[10].

ومن خلال هذه العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والبنادقة يظهر دور البنادقة وتأثيرهم على قادة الحملة قصد تغيير اتجاههم وجاء هذا في تحفيز دوق البندقية دندولوحينما خاطبهم أثناء مكوثهم في مدينة زارا سنة 598ه/1202م وضح لهم أصلية اتجاههم نحو القسطنطينية والثروات التي تتمتع بها من أراضي خصبة وعظيمة، بالمقابل نجده يبحث عن ذريعة وحجة لكي يتجهوا إليها أولا وبعدها ينتقلون إلى ما وراء البحار.

---

[7] سعيد عمران، **الامبراطورية البيزنطية، المرجع السابق**، ص136.

[8] هنري بيرن، **المرجع السابق**، ص33.

[9] هايد، **المرجع السابق**، ص180.

[10] نفسه.

III. 1. ب . دوافع الملك فيليب السوابي:

كان الملك فليب السوابي ملك ألمانيا من فترة 1208،1197م/94هـ ،604هـ دورا بارزا في تحويل مسار الحملة نحو القسطنطنية , خاصة و أنه ربطته علاقة مصاهرة مع الإمبراطور إسحاق أنجيلوس581 .،591 هـ /11851195م، فقد تزوج من ابنته أيرين[11]، و بعدما سلب عرش الإمبراطورية البيزنطية من الإمبراطور أنجيلوس من طرف أخيه ألكسوس الثالث و قام بسجنه[12] لكن ابنه الأمير ألكسوس ابن الإمبراطور إسحاق استطاع الفرار من سجنه سنة 599 هـ /1201 م و لجأ إلى زوج أخته فليب السوابي وطلب منه المساعدة على عرش أبيه الذي سلب منه ظلما يذكر لنا المؤرخ ابنه الأثير هذه الأحداث و ذلك بقوله "... إن ملك الإفرنج بها تزوج أخت ملك افرنسيس و هو من أكبر ملوك الفرنج فرزق منها ولدا ذكرا، ثم وثب على الملك له أخ فقيض عليه و ملك البلد منه و سهر عينه وسجنه، فهرب ولده و مضى إلى خاله مستنصرا به على عمه[13]، قوبل الأمير ألكسوسأنجيلوس بالترحاب من طرف شقيقته وزوجها فليب السوابي حيث أخبره بمروره بشمال ايطاليا،كما أنه مر بالبابا انوسنت الثالث حيث أنه لم يعرّه اهتماما . و الملاحظ أن فليب السوابي وجد الفرصة في مساندة ألكسوس[14] وإعادته إلى عرشه فرصة يحقق بها حملة المتمثل في احتواء عرش بيزنطة على غرب أوربا و ينتزع الزعامة من البابوية و على رأسها انوسنت الثالث الذي نصّب نفسه زعيما على غرب أوربا[15].

كانت الظروف مواتية للملك فيلب السوابي لتحقيق طموحاته و أهدافه و الاستفادة من هذه الحملة لصالحه فقائد الحملة الماركيز بونيفاس أوف مونتفرات هو ابن أخته, و بالتالي فمن

---

[11] اسمت غنيم، **المرجع السابق**، ص65.

[12] محمود سعيد عمران،**المرجع السابق**،ص292.

[13] ابن الأثير، **المصدر السابق**،ص288.

[14] Ville hardouin,op, cit, p53

[15] محمودسعيد عمران، **المرجع السابق**، ص265.

السهل التأثير عليه، اجتمع به فيلب السوابي مع الأمير ألكسوس أنجلوس عام 1202م، و تناقشوا حول الامتيازات التي سيقدمها الأمير البيزنطي للجانب الصليب إن ساعدوه في استعادة عرش والده[16].

نجد أيضا من الذين حملوا مسؤولية تغيير الحملة و اتجاهها نحو القسطنطينية البابا اينوست الثالث، من خلال خطابه إلى الامبرطور البيزنطي ألكسوس الثالث في 16 نوفمبر 1202 م / 598هـ، حيث جاء في الخطاب "... إننا لم نعر أي اهتمام مطلقا لالكسوس ابن الإمبراطور السابق إسحاق أنجلوس الذي ذهب لفيليب دوقسوابيا لكي يحصل على مساعدته من أجل انتزاع الإمبراطورية ، منك و حينما أجبناه مطلقا لما نراه صالحا , انسحب من عندنا و توجه بخطي سريعة نحو فيلب، و حينما تشاورا معا أرسل فيلب على الفور رسله إلى زعماء الجيش المسحي يلتمس منهم ضرورة اقتحام مملكة القسطنطينية مع ألكسوس و أنهم يجب أن يعيروه النصح ..."[17].

في سنة 598 هـ /1202 م وصل رسل فيلب السوابي و سلموا لزعماء الحملة رسالته التي احتوت على الشروطو الامتيازات التي ستمنح لهم وجاء نص الرسالة التي أوردها مؤرخ الحملة فيها ردوين كما يلي: سيعرض الأمير ألكسوس عليكم أفضل الشروط التي قدمت على الإطلاق إلي شعب، و سيعطيكم أقوى دعم في فتح بلاد ما وراء البحار.

أولا ... سيعطيكم كامل إمبراطوريته تحت سلطة روما التي أقصت عنها زمنا طويلا

ثانيا طالما أنه يعرف أنكم قد أنفقتم كل أموالكم و ليس لديكم شيء منها ألان أنه سيعطيكم 20.0000مارك فضي و مؤنا لكل رجل في جيشكم من القادة الرجال على السواء

---

[16] اسمنت غنيم، **المرجع السابق**،ص71.

[17] ville hardouin, op, cit, p 55

علاوة على أنه هو نفسه سيذهب في صحبتكم إلى بابليون " مصر" مع عشرة آلاف من الرجال معكم، و علاوة على ذلك فإنه طيلة حياته سيحتفظ على نفقته بخمسمائة فارس من الفرسان للمرابطة على أراضي ما وراء البحار[1].

و قد أوضح الرسل أنهم مزودون بكافة السلطات التي تتيح لهم إبرام الاتفاقيات مع الصليب، ثم أخذوا يوضحون أهمية هذه الامتيازات التي سيقدمها لهم الأمير البيزنطي، و أنهم إذا قاموا برفضها فهم غير جديرين بالمجدوا الفتح[2]، واعتبرت هذه الامتيازات بمثابة إغراء للصليبين، القصد منه كسب موافقتهم لتغيير وجهة الحملة التي ستعيد عرش إسحاق أنجيلوس الإمبراطور الشرعي للإمبراطورية البيزنطية.

قام البارونات و الدوق داندولو بالتشاور في الأمر[3]، و لكن وفي هذه الفترة أوضحت جماعة السيسترشيان رفضها الموافقة على التوجه إلى القسطنطينية، و هم قاموا بترك ديارهم و وأوطانهم من أجل التوجه لقتال المسلمين في بلاد الشام، و ليس لمحاربة المسحيين، و أكدوا على ذلك فرد عليهم أحد الصليبيين موضحا بأنهم لن يستطيعوا فعل شيء في بلاد الشام، و أنه عن طريق مصر أو الدولة البيزنطية فقط يتمكنوا من الأراضي المقدسة و أنهم إذا لم يوافقوا على هذه الشروط سيندمون كثيرا فيما بعد[4]، وافق قائد الحملة الماركيز " بونيفاس أوف منتفرات " على شروط العرض المقدم لهم، و قد كانت هذه الشروط مطلعا عليها أثناء لقائه بالملك فيليب و الأمير ألكسوس أوائل عام 1202م[5] وصلت الأخبار إلى روما بالقرار الذي اتخذته الحملة الصليبية الصليبية بالتوجه إلى القسطنطينية، كما أن فيليب السوابي و ألكسوس أنجلوس بالإضافة إلى

---

[1] سهيل زكار، **المرجع السابق**،ص215.

[2] اسمت غنيم، **المرجع السابق**،ص73.

[3] ستيفن رانسيمان، **المرجع السابق**،ص265.

[4] Ville hardouin, op, cit, 53p

[5] اسمت غنيم، **المرجع السابق**،ص73.

البنادقة كانوا قد نجحوا في التأثير علي الصليبيين وإقناعهم بتغيير وجهة الحملة، و لم يعد باستطاعته فعل أي شيء أو الاعتراض على هذا القرار، و بذلك فمصير الحملة و اتجاهها لم يعد بيده[1].

قام البابا اينوسنت الثالث بتقديم توضيحات و تحذيرات لرسل الحملة , فقد أرسل إليهم رسائل تهديد، إذا هم قاموا بمهاجمة بيزنطة، و سيتعرضون لقرار الحرمان الكنسي[2]، كما قام البابا بإخبارهم بأنهم لا يملكون الحق في التدخل في مصالح الإمبراطورية البيزنطية و في أمورها الداخلية و أمرهم بأن يقسموا على ذلك و إن هم لم يفعلوا ذلك فإن العفو لممنوح لهم عند مهاجمة مدينة زارا سيكون ملغى بالضرورة[3]، لكن قائد الحملة بونيفاس استغل نفوذه كقائد للحملة وقام بإخفاء الأمر عن باقي الصليبيين، و أخبر قلة من الزعماء فقط منهم الدوق داندولو وقام بإرسال قسمه بالوعد بعدم مهاجمة البيزنطيين، رغم ما قام به البابا انوسنت الثالث إلا أنه كان يأمل في أن يستولي الصليبيون على الأراضي البيزنطية دون إراقة للدماء لتحقيق وحدة العالم المسيحي وتتحد الكنيسة الشرقية تحت زعامة البابوية في روما[4].

---

[1] اسمتغنيم، **المرجع السابق**، ص73.

[2] نفسه،ص74.

[3] ميخائيل زباروف، **المرجع السابق**، ص262.

[4] محمود سعيد عمران، **الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها**، (د،ط)، دار النهضة العربية، بيروت، 2002م، ص293.

2 . III. مسار الحملة نحو القسطنطينية (599هـ – 600 هـ / 1203 م 1204م)

رحل الجيش الصليبي عن مدينة زارا في 07أفريل599 هـ / 1203 م بينما تخلف الماركيز بونيفاس " و الدوق داندولو " منتظرين قدوم الأمير البيزنطي ألكسوس أ نجيلوس الذي وصل إلى المدينة في 25أفريل من نفس السنة قادما من ألمانيا , وذلك قصد الذهاب مع قادة الجيش الصليبي إلى القسطنطينية[1]، و يذكر ابن الأثير هذه الأحداث في قوله :"... وقد اجتمع كثير من الفرنج ليخرجوا إلى بلاد الشام لاستنقاذ البيت المقدس، فأخذوا ولد الملك معهم، و جعل طريقهم على القسطنطينية[2]، انطلق الجيش الصليبي من مدينة زارا، واتجهوا إلى جزيرة كورفو و أقاموا بها، بعدها وصلها الأمير ألكسوس، ويصف فيلهاردوين الفرحة الكبيرة التي استقبل بها الأمير البيزنطي أثناء وصوله إلى الجيش فيقول : "أثناء وصوله إلى الجيش، فقد قاموا يحيونه و يرحبون به، و نصبو خيمته في وسط المعسكر بجوار خيمة قائد الحملة الماركيز بونيفاس دي منتيفرات الذي أوكل إليه الملك فليب السوابي مهمة حماية ألكسوس و الاهتمام بأمره[3]، أقام الجيش الصليبي في جزيرة كورفو مدة ثلاثة أسابيع ثم غادروها في 04 ماي 1203م، اتجهت الحملة الصليبية إلى جزيرة أبيدوس، فأستقبلها أهاليها بالترحاب و أعلنوا خضوعهم للأمير ألكسوس فتركها الصليبيون , واتخذوا طريقهم إلى ميناء أبيدوس و هي مدينة تبعد عن القسطنطينية بمائة فرسخ وسلمها أهلها للصليبين ووضعوا بها حامية، بقيت القوات مدة أسبوع قصد التموين خاصة بالقمح[4]، في 23 من جويلية1203 م/ 599هـ وصلوا إلى سانت سيتفان StSetphin وهي تبعد بثلاثة فراسخ من القسطنطينية من أجل التموين بالقمح لأن الموسم موسم حصاد ، واجتمع البارونات من أجل التشاور فيما ينبغي عمله فاقترح عليهم دوق البندقية بأن يذهبوا إلى جزيرة خلقيدونية المواجهة

---

[1] ستيفن رانسيمان، **المرجع السابق**،ص169.

[2] ابن الأثير،**المصدر السابق**، ص287.

[3] Ville hardouin,op, cit, p59

[4] Idem

للقسطنطينية على الضفة الآسيوية للبوسفور، وقاموا بمواجهتها لكن دون جدوى و عند انتقالهم إلى هذه الجزيرة يصف فيلهاردوين دهشة الصليبين من منظر القسطنطينية أمامهم فقد كان أمام جميع الذين كانوا على ظهر السفن كامل منظر المدينة من خلال مدخل دير القديس ستيفن وهو دير يقع على بعد أربعة أو خمسة أميال من القسطنطينية ، ومن هذا الموقع يظهر كامل منظر هذه المدينة، وكان كل من لم يراها من قبل لم يتخيل أنه يمكن أن يكون هناك مثل هذا المكان الجميل في كل الدنيا[1]، ، فقد لاحظوا الأسوار العالية و الأبراج التي تحيط بها و قصورها الفخمة و كنائسها الشاهقة حتى إن أحدا لا يمكنه أن يصدق أن هذا حقيقي[2]، فقاعدة المثلث التي تقوم عليه المدينة كانت تقابل 5 أميال، بيزنطة احتلت مكانة هامة من حيث موقعها الجغرافي، فهي تقع على نقطة التقاء قارتي أوربا وآسيا، و تحيط بها مياه المدينة من جانبيها، و كذلك مضيق البوسفور و الدردنيل يمثلان ممران طبيعيان للتجارة، مما جعل القسطنطينية مركزا تجاريا فريدا جعلها تسيطر على طرق التجارة غرب أوربا و البلاد الواقعة على البحر الأسود و شواطئ بحر مرمرة[3].

كما يصفها الرحالة ابن بطوطة الذي زارها بأنها مدينة متناهية في الكبر مقسمة بقسمين بينهما نهر عظيم المد والجزر، و المدينة على سفح الجبل داخل في البحر نحو سبعة أميال و عرضه مثل ذلك أو أكثر, ووصف كنستها آيا صوفيا بأنها من أعظم كنائس الروم , وعليها سور يطبق بها فكأنها مدينة و أبوابها ثلاثة عشر بابا[4] .

مر الأسطول أمام القسطنطينية بالقرب من أسوراها و أبراجها و رسى أمام قصر كان يقع مباشرة مقابل القسطنطينية على جانب المضيق" مضيق البوسفور"، وبعدما نزل الجيش الساحل

---

[1] Ville hardouin, op, cit, p 65

[2] Idem.

[3] اسمت غنيم، **المرجع السابق**،ص78.

[4] ابن بطوطة،**تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار**،تح: عبد الهادي التازي ،ج 2 ، (د،ط)،مطبوعات المكتبةالمغربية،الرباط،1997 ،ص253.

أخذ البارونات مراكزهم في القصر، وأصبح الجميع مستعدين وأخرجت الخيول من المراكب في منطقة كوتاري وهي تقع على مضيق البوسفور، وبعدها فرض الحصار البحري على مدينة القسطنطينية من أجل استعادة عرشها لحليفهم أليكسوس و والده الإمبراطور إسحاق انجلوس[1]، بعد وصول الجيش البيزنطي أمام القسطنطينية لم يحرك مساعي الإمبراطور ألكسوس الثالث لإعداد ترتيبات لمواجهة هذا التقدم اتجاهه ، وسبب ذلك الحروب التي خاضها خاصة في عهد الإمبراطور مانويل إلى أنّ الجيش البيزنطي أغلب جنوده من المرتزقة الذين يعتمدون على المال من أجل الحرب[2].

وحينما رأى إمبراطور القسطنطينية أليكسوس الثالث حصار الصليبيين للمدينة أرسل إليهم رسولا من طرفه هو Nicholas honx نيكولاس روكس الذي خاطب الصليب قائلا:"سادتي إن الإمبراطور ألكسوس يود أن يوضح لكم أنه يعلم جيدا أنكم أحسن العناصر وجئتم من أحسن الأقطار على وجه الأرض، وهو يعجب كثيرا ويتساءل لماذا، ولأي غرض اقتحمتم أرضه ومملكته؟فهو مسحي وأنتم مسيحيون، و هو يعلم جيدا أنكم في طريقكم لتحرير الأراضي المقدسة والصليب المقدس، وأورشليم وإذا كنتم فقراء و محتاجون فإنه يرغب حقا في أن يمنحكم المال و الزاد بشرط أن تغادروا أراضيه فورا"[3].

بعدها اختار البارونات ودوق البندقية أحد الفرسان يدعى كونت بيتان Conon Bethine لكي يتولى الرد على هذا الرسول يقول فيلهاردوين على لسانه "سيدي لقد قلت لنا أن مولاك يعجب كثيرا لماذا سادتنا و البارونات دخلوا أرضه ومملكته، إنهّم لم يدخلوا أرضه هو لأنه اغتصب هذه الأرض طمعا وعدوانا، وضد الله وضد الحق، إنها تخص ابن شقيقه الذي

---

[1] Ville hardouin, op, cit, p 71.

[2] اسمت غنيم، **المرجع السابق**، ص79.

[3] Ville hardouin, op, cit, p 72

يجلس بيننا على العرش، إذا رغب سيدك في أن يرد لابن شقيقه تاجه وإمبراطوريته ويلقى بنفسه تحت رحمته عندئذ سنتوسل لابن شقيقه لكي يصفح عنه وأن ينعم عليه بالعفو الذي يمكنه من العيش ميسور الحال، وإذا أنت لم تجيبنا على الرسالة فلا تجرؤ على العودة إلى هنا ثانية.

بعد ما رأى الأمير ألكسوس ما آلت إليه الأمور، أخبر قادة الحملة بأن البيزنطيون سيرحبون به أن هم رأوه على متن السفينة و بالفعل قاموا بالأخذ بمشورته غير أنهم وجد عكس ما أخبرهم به من أن البيزنطيين سيرحبون بهم وبألكسوس لأنه ابن إمبراطورهم السابق، فقد أغلقت أبواب القسطنطينية في وجوههم، كما أن الجنود تأهبوا فوق أسوارها، ما أدى إلى فشل المحاولة الأولى لدخول المدينة[1].

لكن بعد ذلك تمكن الدوقداندولووالبنادقة من إحداث ثغرة في الأسوار المدينة و كان ذلك في عام599ه/17 يونيو 1203م، عندمارأى أهل القسطنطينية هذا الأسطول حملوا أسلحتهم و صعدوا فوق الأسوار، و عندما شاهدوا الصليبيون و البنادقة يتقدمون ارتدوا على أعقابهم، وفقدوا الجرأة على الصمود أمامهم وهكذا واصل الأسطول الصليبي طريقه نحو المدينة بعدما تمكنوا من قطع السلاسل الحديدية الضخمة التي تغلق ميناء القسطنطينية وبدأت المعركة بين الطرفين استولى خلالها الصليبيون على 25 برجا من أبراج العاصمة و التحموا مع المدافعين عنها في قتال عنيف وكان الإمبراطور ألكسوس الثالث يقود المعركة[2].

---

[1] ستيفن رانسيمان، **المرجع السابق**،ص113.

[2] ville hardouin, op, cit, p74.

يذكر ابن الأثير وقائع هذه المعركة بقوله : " فلما وصلوا خرج عمه-ألكسوس الثالث_ في عسكر الروم محاربا لهم فوقع القتال بينهم في ذي القعدة 599هـ /1203 م، فانهزمت الروم، ودخلوا البلد الفرنج فهرب ملك الروم إلى أطراف البلد "[1].

3 . III. –محاصرة القسطنطينية واستعادة إسحاق انجيلوس العرش

دخل الصليبيون القسطنطينية في صيف 599هـ/1203م، وتم الاتفاق على تنصيب الأمير الكسوس شريكا لوالده إسحاق انجلوس في الحكم، وسمي الكسوس الرابع، ومارس شؤون الحكم بمفردهي لأن أباه كان فاقدا لبصره، و بعد إعادته لعرشه بدأ في تنفيذ وعوده التي قدمها للصليبيين، فحاول إرغام رجال الدين بقبول سيادة بابا روما، لكن محاولته فشلت بسبب مقاومة رجال الدين لمطلبه كما قام بمنح العديد من الهدايا الكثيرة إلى الصليبيين، ما جعل مال الخزينة يتناقص ولم يتمكن من دفع ديون الصليبين للدوق دندولو حاكم البندقية ، فاضطر إلى فرض ضرائب جديدة على البيزنطيين.

و كانت الأوضاع جد سيئة ما أدى إلى مصادرة حتى ممتلكات الكنيسة من ذهب و فضة و جمع الأواني المقدسة و سهرها و ضربها على شكل مسكوكات، و ذلك لأجل تسديد المبلغ المتفق عليه إيجار السفن،[2] و ابن الأثير اعتبر بأن الفرج هم الحكام في القسطنطينية ما جعلهم يطلبون أموالا عجزوا عن دفعها فاضطروا إلى اخذ ما تحتويه الكنيسة من نفائس ولم تسلم الصلبان على صورة المسيح عليه السلام و الحواريين كذلك وما على الأناجيل و هذه الأفعال جعلت الروم البيزنطيين يكرهون اللاتين و كذلك إمبراطورهم.[3] و مما زاد في حقد البيزنطيين هي أعمال السلب و النهب التي قام بعدهاالبيزنطيون في أنحاء مدينة القسطنطينية،فدمروا أحياء بكاملها بسبب ما

---

[1] ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص287.

[2] سعيد الحريري، **الاخبار السنية الحروب الصليبية ،ط3** ،دار الاثار،القاهرة،1985،ص290.

[3] ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص288.

قام به الجنود الفرنسيين الذين أحرقوا مسجدا للتجار المسلمين في المدينة و امتدت النار منه و دمرت الحي بأكمله،[1] وهذه الأعمال أدت إلى وقوع ثورة في القصر الإمبراطوري في رجب 600هـ/فبراير1204م، حيث تم إلقاء القبض على الإمبراطور ألكسوس الرابع و قتلوه،[2] وسجن والده إسحاق انجيلوس الذي توفي حزنا على ولده، وتولى العرش الكسوس دوقاس في سنة 600هـ/1204م ويسمى الكسوس الخامس، وهو ينتمي إلى أسرة أنجيلوس فزوجته هي ابنةالكسوس الثالث، وبعد مقتل الكسوس الرابع فقد الصليبيون مؤيدهم الأول في العاصمة البيزنطية، بعدما أعلن الإمبراطور الجديد كرهه للصليبيين وقرر محاربتهم، هذا ما جعل الصليبيين يقررون السيطرة على القسطنطينية،[3] ففي 600هـ/مارس 1204م عقد الصليبيون والبنادقة اجتماعا خارجا القسطنطينية قرروا فيه إيقاف النزاع ضد المسلمين، وعقدوا معاهدة فيما بينهم بخصوص تقسيم الدولة البيزنطية بعد الاستيلاء على عليها، وهي المعاهدة التي حددت مستقبل الإمبراطورية اللاتينية، وأجمعوا على أنه إذا وقع الاختيار على أحد من الفرنسيين ليكون إمبراطورا كان البطريريك من البنادقة، كما اتفقوا على أن يؤول ربع المدينة[4] لمن يصبح إمبراطور وملكا له وحده لا يشاركه فيه احد، أما ثلاثة أرباع الباقية فتقسم نصفين احدهما للبنادقة وثانيهما للصليبيين، وأن يعتبر كل شيء إقطاعا للإمبراطور، وبعدها أقسم جميع رجال الجيش الصليبي على عدم جلب كل ما يحصلون عليه من غنائم إلى المعسكر، وأن لا يتعرضوا للنساء والأطفال أو الرهبان وألا يقتحموا الكنائس والأديرة.[5]

---

[1] ستيفن راسمان، **المرجع السابق**، ص،162.

[2] ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص288.

[3] حسين محمد ربيع، **المرجع السابق**، ص255.

[4] Clari: op, cit.P59.

[5] Ville hardouin, op, cit, p74

4 . III. نتائج الحملة الصليبية الرابعة:

4 .III. أ . سقوط القسطنطينية وإقامة إمبراطورية لاتينية بها:

اتفق أمراء الحملة الصليبية على ضرورة احتلال القسطنطينية وبدأوا هجومهم في 600ه/06أفريل 1204م، ولكن محاولتهم لقيت مقاومة من طرف البيزنطيين وتكبدوا عدة خسائر ما جعلهم ينسحبون، ومكثوا بعدها ستة أيام لكنهم عاودوا هجومهم على المدينة، وكان بمدينة القسطنطينية حوالي 30 ألفا من الفرنج، لكن لكبر مدينة القسطنطينية واتساعها لم يكشف أمرهم فقاموا بالتعاون مع الفرنج الذين هم خارج المدينة، فألقوا النار داخل المدينة ما أدى إلى احتراق نحو الربع منها، ففتحت الأبواب ودخل الفرنج إلى القسطنطينية، واستمر القتال مدة ثلاثة أيام على حد وصف ابن الأثير، وفتكوا بالروم قتلا ونهبا فأصبح الروم كلهم بين قتيل وفقير لا يملك شيئا[1]واستبيحت القسطنطينية للنهب والسلب بطريقة ليس لها مثيل في التاريخ[2].

وسقطت المدينة على يد اللاتين والبنادقة يوم الاثنين 600ه/12أفريل1204م، بعدما قاموا بإحراق المدينة مما أدى إلى حرق العديد من المنازل، ويذكر فيلهاردويين عدد المنازل بأنها تعادل ثلاث مدن كبيرة من مملكة فرنسا آنذاك ، وهذا يدل على عظم وكثرة التخريب الذي تعرضت له القسطنطينية على يد الصليبيين[3].

قام الصليبيون بالنهب والسلب بعدما قتلوا كل من صادفهم من البيزنطيين حتى أصبح من الصعب إحصاء عدد القتلى، وهذا ما وضحه نيقتاسخونيتاس الذي كان شاهدا على سقوط القسطنطينية ونهبها من خلال قوله "إن المسلمين عند استردادهم لبيت المقدس سنة

---

[1] حسن محمد ربيع، **المرجع السابق**، ص254.

[2] ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص289.

[3] Villeharduoin: op.cit. P75.

583هـ/1187م كانوا أكثر رحمة بالمسيحيين من أولئك الذين تسموا بجنود المسيح"، وهذا الوصف يدل على الكارثة التي حلت بمدينة القسطنطينية على أيدي المسيحيين رغم أنهم يحملون نفس الصليب، ورغم ذلك عاملوهم مثل الأعداء[1].

كان النهب والسرقة شمل جميع الكنوز والنفائس حتى التي احتوت عليها الكنائس والأديرة، فدخل بعض الفرنج كنيسة أبا صوفيا التي احتمى داخلها جماعة من الرهبان والقساوسة ويحمل حملهم الصليب والإنجيل، وتوسلهم بعدم قتلهم والإبقاء على حياتهم، إلا أنهم تعرضوا للقتل ونهبت الكنيسة[2].

وقاموا بتحطيم ايقوناتها الفضية النادرة، وداسوا الكتب المقدسة بأقدامهم، كما صدر الأمر بعد ذلك بجمع كل الغنائم من الكنائس واختاروا عشرة فرسان من كبار الحجاج وعشرة من البنادقة ممن توسموا فيهم الامانة وقاموا بحراسة الثروات التي جمعت من الكنائس[3].

وحصل الصليبيون على غنائم وثروات كثيرة يصفها فيلهاردوين بأنها ليس لها نهاية، من ذهب وفضة وأحجار كريمة... ويؤكد على أنه منذ الخليقة لم تؤخذ غنائم مثلما أخذت من القسطنطينية، فشبع من الصليبين من كان جائعا، واغتنى منهم من كان فقيرا،[4] فالصليبيون حصلوا على غنائم وثروات كثيرة إلى درجة أنها توازي مجموع ثروات أوربا مجتمعة، فمعظم الكنوز المتحصل عليها كانت من النفائس الثمينة وتم نقلها إلى أوربا مثل الجياد البرونزية الأربعة التي كانت تزين ميدان السباق في القسطنطينية ثم نقلها إلى البندقية.[5]

---

[1] حسنين محمد ربيع، **المرجع السابق**، ص،255

[2] ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص289.

[3] Calarirebert, op, cit, p60.

[4] Villeharduoin: op.cit. P65.

[5] محمد حسين ربيع ،المرجع السابق،ص 256.

استفاد التجار البنادقة من ثروات القسطنطينية بدرجة كبيرة وأكثر من غيرهم، فهم قاموا بحمل الكنوز والنفائس التي تحصلوا عليها بعد نهبهم للمدينة، وقاموا بحملها إلى مصر وبلاد الشام وباعوها هناك، خاصة الرخام الذي نهب من الكنائس، ووصل إلى غاية مدينة دمشق رخام كثير على حد قول أبو شامة[1] وهذا يؤكد العلاقات التجارية التي كانت تربط البنادقة بالمشرق الإسلامي ومصر، وبقيت البندقية محافظة على هذه العلاقة الوطيدة بين الطرفين رغم العداء بين الغرب المسيحي والمشرق الإسلامي فترة الحروب الصليبية، وتغير وجهة الحملة إلى القسطنطينية كان بهدف الحفاظ والابقاء على العلاقات بينهم.

بعد الانتهاء من عملية السلب والنهب التي تعرضت لها القسطنطينية كان على قادة الحملة اختيار إمبراطور لاتيني يحكم الإمبراطورية البيزنطية، فعادوا إلى الاتفاق الذي كانوا قد اتفقوا عليه من قبل، تمثل في اختيار لجنة من اثني عشر شخصا، ستة من الصليبيين وستة من البنادقة لاختيار أحدهم، وكانت المنافسة شديدة بين الماركيز بونيفيس مونتفرات، وبين الكونت بلدوين[2]،"الدوق فلاندرز و هيتولت" وكان دوق البندقية داندولو خائفا من قوة وحماسة قائد الحملة الصليبية بونيفاس، فهو كان يشكل خطرا للبنادقة ولمصالحهم وذلك نضرا لقوته وقيادته للجيش الصليبي ، وعلاقته الجيدة بالبيزنطيين خاصة بعدما تزوج من مارجريت الهنغارية أرملة إسحاق أنجلوس الإمبراطور السابق لبيزنطة ما جعل البيزنطيون يؤيدونه ويعتبرونه إمبراطورهم المقدس[3]، لكن بونيفاس أدرك أنه لن يستطيع السيطرة على لجنة الانتحاب لان ثلاثة فقط من الصليبيين الستة

---

[1] أبو شامة، **المصدر السابق**، ص78.

[2] يعد من أكبر السادة الاقطاعيين الفرنسيين ولد حوالي عام 1172م، وهو ابن بلدوين الخامس، والدته مارجريت شقيقة فيليب الأزابيسي كونت فلاندرز، وبعد وفاة فيليب الألزاسي في مدينة عكا 590ه/1194م، وبذلك ورث ابنها بلدوين اقليم فلاندرز، وبعد وفاة والده بلدوين الخامس سنة 591ه/1195م صار بلدوين هو الحاكم لإقليم فلاندرزوهينولت، ويسمى بلدوين التاسع، أنظر: اسمت غنيم، **المرجع السابق**، ص102.

[3] اسمت غنيم، **دراسات في تاريخ إمبراطورية نيقية**، (د،ط)، دار المعرفة، الإسكندرية، 2000،ص116.

كانو يؤيدون منافسه بلدوين، فقد كان الدوق داندولوا يفضل أن يكون الامبراطور الجديد أضعف شخصية وأقل أهمية حتى يسهل السيطرة عليه، بالإضافة إلى كون بونيفاس كان حليفا لجنوة وهذه الأسباب جعلت البنادقة يقومون على العمل لإبعاده عن هذا المنصب [1].

وفي منتصف سنة 600هـ/9ماي 1204م أعلن نيفلون وهو أسقف سواسون الذي كان عضوا في لجنة الانتخاب اختيار بلدوين كونت فلاندرز وهيتولت إ مبراطورا وفي 16ماي من نفس السنة تم تتويجه في احتفال كبير في كنيسة آيا صوفيا [2]،أما بالنسبة لبطريك كنيسة القسطنطينية فقد كان أحد الشروط الهامة التي اتفق عليها قبل إسقاط العاصمة البيزنطية ، وبعدما اختير الإمبراطور من الجانب الصليبي ، كان منصب البطريك من الجانب البدقي فاجتمع رجال في كنيسة آيا صوفيا ، واختاروا توماس مورسيني[3] Thomas Mauroceni لهذا المنصب[4].

وحسب الاتفاق بين الصليبين والبنادقة قسمت الأملاك فيم بينهم ، وكانوا زعماء الحملة وقادتها النصيب الأكبر وهذا ما ذكره ابن الأثير وأشار إلى المركيزبونيفاسمونتفرات وهو مقدم الأفرنسيس وكذلك كندا أفلند بلدوين التاسع وذكر كذلك دوق البندقية داندولو وأولهم أهم القادة

---

[1] ستيفن رانسيمان، **المرجع السابق**، ص166.

[2] ينتمي إلى عائلة نبيلة وعريقة يرجع أصلها إلى مانتوا، لم يكن موجودا في القسطنطينية وقت انتخابه، وفي سنة 1205م، تم ترقيته من طرف البابا انوسنت الثالث إلى منصب شماس، وفي30 مارس1205م، عين رئيسا للأساقفة قي القسطنطينية، لم يستمر طويلا في منصبه قي القسطنطينية، لم يستمر طويلا في منصبه إذ توفي في سنة 1211م.أنظر: اسمت غنيم، **المرجع السابق**، ص ص105-106.

[3] ابن الأثير، **المصدر السابق**، ص289.

[4] حسنين محمد ربيع، **المرجع السابق**، ص256.

الذين ملكو على القسطنطينية وعلى ما جاورها [1]، فكان من نصيب الامبراطور بالدوين جنوب تراقيا وخمسة أثمان العاصمة البيزنطية ، وبعض جزر بحر إيجة مثل سكاموس وخيبوس وهولسبوس[2].

حصل القائد بونيفاس على مملكة سالونيك وهي تشمل ولايتي تساليا ومقدونيا وذلك لأجل إرضائه والسماح لأتباعه بالاستيطان تدريجيا فيما بين بلاد اليونان وشبه جزيرة المورة[3].

وكان البنادقة قد حصلوا على معظم المناطق المتبقية فقد استولوا على حي كبير في القسطنطينية ليباشروا فيه نشاطهم التجاري ، وأخذوا معظم جزر البحر الايوني ، والكثير من جزر البحر الإيجي مثل تاكسيس وأندوروس[4]، كما حصلو على مجموعة من المدن على طول شاطئ مضيق الدردنيل وبحر مرمرة جاليبولي ، ورودستو ، وهيرافليا وبعض المدن داخل تراقيا أكبرها أندري نوبل، بالإضافة إلى جزيرة كريت[5].

وعمد البنادقة منذ البداية على الحصول على المناطق الخصبة وذلك كونها مناسبة للاستغلال التجاري، وكلها تقريبا موجودة على الطريق البحري الكبير الذي يصل البندقية بالقسطنطينية [6].

حصل بقية الصليبين المشاركين في الحملة على غنائم قليلة مما جعلهم يتذمرون من وضعهم خاصة بعدما حصل كبار القادة على معظم المناطق والغنائم ما جعل الاختلاف والعداء يظهر بين

---

[1] هنري ديفيز، **المرجع السابق**، ص256.

[2] محمد عوض، **المرجع السابق**، ص189.

[3] هايد، **المرجع السابق**، ص288.

[4] هايد،المرجع السابق،ص187.

[5] اسمت غنيم، **الحملة الصليبية الربعة، المرجع السابق**، ص98.

[6] هايد، **المرجع السابق**، ص287.

مختلف الجنسيات التي تكونت منها الحملة ، كما ظهر النزاع بين الألمان والبرجنديين ، وبين اللمبارديين والفرنسيين ، وبين البنادقة[1].

ونتج عن هذه التقسيمات ظهور نظام إقطاعي غربي قسم الإمبراطور اللاتيني البلاد المفتوحة إلى عدد كبير من الإقطاعات الصغيرة والكبيرة منحت للأمراء والفرسان وهذا على غرار نظام الإقطاع السائد في غرب أوربا ، وكان لا بد للفرساناللاتين أن أقسموا يمين الولاء للإمبراطور اللاتيني في القسطنطينية غير أن البنادقة رأوا بعدم وجوب القسم ما جعل عوامل الضعف تظهر في المملكة اللاتينية [2]، وظهرت سيطرت اللاتين على اليونانيين في جميع المجلات ففي الجانب الديني تم توحيد الكنيسة الأرثدكسية تحت زعامة الكنيسة الكاثوليكية في روما ، وذلك بعد اختيار بطريرك من اللاتين البنادقة ، ورغم ذلك فالبابا انوسنت الثالث استاء من مذبحة القسطنطينية ، وحث رجال الدين اللاتين وأمراء الدين أكثر من مرة على أن يعاملوا المسحيين البيزنطيين معاملة طيبة [3].

ويظهر استياء البابا في الخطاب الذي أرسله إلى الكاردينال بطرس كابوانيCardinalpetercapu، إذ يقول فيه مستعجبا :"كيف يمكن أن نتوقع عودة كنيسة اليونانيين إلى الولاء للبابوية الرسوليةبينما ضرب اللاتين مثلا للشر وقاموا بأعمال الشيطان ، ونتيجة لذلك ولأسباب واضحة كرههم لليونانيين أكثر من كرههم للكلاب [4]"وهذا الخطاب يظهر أعمال التذمر والقتل التي اقترفها الصليبيون في حق اللاتين وكذلك الحقد والكراهية بين الطرفين ، وكانت سيطرة اللاتين على القسطنطينية وتقاسمهم لأملاكهم قد تأكد لفرنج الإمارات الصليبية في

---

[1] اسمت غنيم، **دراسات في الإمبراطورية نيقية، المرجع السابق**، ص119.

[2] حسنين محمد ربيع، **المرجع السابق**، ص258.

[3] اسمت غنبم، **الحملة الصليبية الرابعة، المرجع السابق**،ص102.

[4] حسنين محمد ربيع، **المرجع السابق**،ص260.

بلاد الشام عدم حصول أية حملة في عام 600هـ/1204م وانقضى الصيف والصليبيون مستقرون في القسطنطينية [1].

وظهرتخلال سنة 600هـ/1204م مناوشات بين المسلمين والصليبيين،وبإستلاء القسطنطينية وسقوطها على يد الصليبين نزل كثير منهم بعكا وعزموا على الاستيلاء على مدينة بيت المقدس وأخذها من المسلمين، وقاموا بأعمال النهب والسلب بنواحي الأردن [2]، وكان العادل حين ذاك بدمشق فخرج منها واتجه إلى جبل الطور [3]، الذي يقع في الجنوب الشرقي من عكا ليمنع الصليبيين من التقدم إلى الممتلكات الإسلامية ،وأرسل في نفس الوقت يطلب النجدة من مصر ومن كافة البلاد الإسلامية فوصلت إليه من كل ناحية في الوقت الذي أغار فيه الصليبيون على كفركنّا [4]، وقاموا بأسر من كان هناك ، وسلبوا نهبوا[5]، ولم يطق الامراء الذين كانوا مع العادل صبرا إزاء هذه الأعمال فأخذوا يحثونه على الهجوم على الممتلكات الفرنجية،لكن العادل لم يوافق الأمراء على رأيهم وظل رابطا لهم والرسل الفرنجية بقيت مترددة في قضية الصلح، وفي النهاية تقررت الهدنة بين الطرفين وبمقتضى هذا الصلح أصبحت يافا للصلبيين وتنازل العادل عن النصف الخاص بالمسلمين في اللد والرملة [6]، ويذكر ابن الأثير تنازل العادل على مدينة الناصرة كذلك [7].

---

[1] هنري ديفيز، **المرجع السابق**، ص203.

[2] ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج5،(د،ط)، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر،بيروت، 2000،ص394.

[3] هوجبل الطور المطل على بحيرة طبرية بالأردن بينهما أربعة فراسخ بنى عليها الملك عيسى ابن العادل قلعة حصينة هدمها عام 1218م، وذلك أثناء حصار الصليبيين لدمياط. أنظر: ياقوت الحموي، ج4، **المصدر السابق**، ص47.

[4] هو بلد يقع بين الطبرية والناصرة وهو يقع بفلسطين: ياقوت الحموي، **المصدر السابق**، ص470.

[5] المقريزي، **المصدر السابق**،ص275.

[6] ابن واصل، **المصدر السابق** ،ص161.

[7] ابن الأثير، **المصدر السابق**،ص290.

كما تعرضت مصر لهجوم من طرف الصليبيين في شوال 600هـ/1204م دخلت عشرون سفينة صليبية فرع الرشيد وتوغلت حتى وصلت مدينة فوه[1]،أقاموا بها يسلبون وينهبون ولم ينج من بطشهم إلا من استطاع الهرب[2]، وأسرعت العساكر المصرية وعسكرت في الضفة المقابلة لهم على النيل ولكنها لم تستطع الاشتباك معهم وذلك بسبب عدم وجود الأسطول العادلي [3]، وعاد الأسطول الفر نجي بعد خمسة أيام من حيث دخل سالما غانما [4].

وكان العادل قد وقع الهدنة لمدة ستة سنوات والهدف منها هو معرفته بتفوق البحرية الصليبية في إعاقة حركة التجارة بين مصر والشام ، أما الجانب الصليبي فالملك عموري سعى الى هذا الصلح بسبب ذهاب بعض الفرسان الصليبين إلى القسطنطينية طمعا في امتلاك أراضيها [5]، وعاد العادل بعدها الى مصر ونزل بدار الوزارة وشرع في ترتيب أمور مصر [6].

---

[1]هي بليدة تقع على شاطئ النيل من نواحي مصر قرب رشيد بينها وبين البحر خمسة أوستة أميال وهي ذات أسواق ونخل كثير.أنظر: ياقوت الحموي، **المصدر السابق**، ص281.

[2]المقريزي، **المصدر السابق**،ص292.

[3]ابن الأثير، **المصدر السابق**،ص292.

[4]المقريزي،**المصدر السابق**، ص276.

[5]محمود سعيد عمران، **الحملة الصليبية الخامسة، المرجع السابق**، ص99.

[6]المقريزي، **المصدر السابق** ،ص277.

خاتمة

خاتمة:

نستنتج مما سبق ذكره أن الحملة الصليبية الرابعة في بداية الإعداد لها تكفل بها البابا وأمراء أوروبا دون مشاركة ملوكها، وكانت تهدف إلى استرجاع بيت المقدس من المسلمين و الثأر لما لحق بهم من هزيمة في الحملة الصليبية الثالثة.

غير أن الظروف التي أحاطت بالحملة أثناء توجههم للبندقية قصد الاستفادة من سفنها للتوجه إلى مصر كانت منعرجا لتغيير هذه الحملة، نظرا لما كانت تتمتع به البندقية من امتيازات في المشرق الإسلامي، فنجد أن البنادق و دوقهم"داندولو"منذ البداية عملوا على استغلال الحملة لصالحهم، و ذلك بعد عجز الصليبيين تسديد المبلغ المتفق عليه لهذا كانت المصالح الشخصية تطغى على الهدف الرئيسي للحملة التي وجهت صوب مدينة زارا المسيحية في البداية، و كانت هذه مرحلة خطيرة في تاريخ العلاقات بين الدول الأوربية، ذلك كون الأوربيون تقاتلوا مع بعضهم البعض و لم يتقاتلوا مع المسلمين كما كان مقررا لها، و ما يلفت النظر في هذه المرحلة أن البابوية لم تتخذ موقفا حاسما حول هذا الوضع، واكتفت بتهديدهم بقرار الحرمان الكنسي الذي سرعان ما ألغي، و كان المستفيد من هذا الانحراف التجار البنادقة الذين كانوا يسعون دائما وراء مصالحهم دون الاهتمام بقرار الحرمان الذي أصدره البابا، وكان هذا أول انحراف للحملة.

كانت الأوضاع التي مرت بها القسطنطينية بعد خلع الإمبراطوراسحاق انجلوس من طرف أخيه ألكسوسالثالث،أوضاع مزرية بسبب التناحر على الحكم نتج عنه فرار الأمير ألكسوس إلى ألمانيا للقاء الملك فليب السوابي، هذا استغلته الحملة الصليبية الرابعة كحجة لمهاجمة القسطنطينية خصوصا وأن الأمير ألكسوس أغرى قادتها بامتيازات عديدة إن هم ساعدوه في استعادة عرشه.

ونستنتج أن الانحراف نحو القسطنطينية كان نتيجة عدّة أسبابو دوافعبداية بدافع البنادقة الذين أرادوا تأمين تجارتهم في حوض البحر المتوسط،بالإضافة إلى دافع الملك الألماني فليب السوابيفي تحقيق طموح الإمبراطورية العالمية بزعامة ألمانيا التي سعت إلى السيطرة على الأراضي

البيزنطية وضمها لممتلكاتها بالإضافة إلى دور البابوية ومساهمتها في تغيير وجهة الحملة، كما أن البابوية ساهمت في هذا الانحراف كونها رغبت في توحيد الكنيستين الشرقية و الغربية تحت زعامة واحدة.

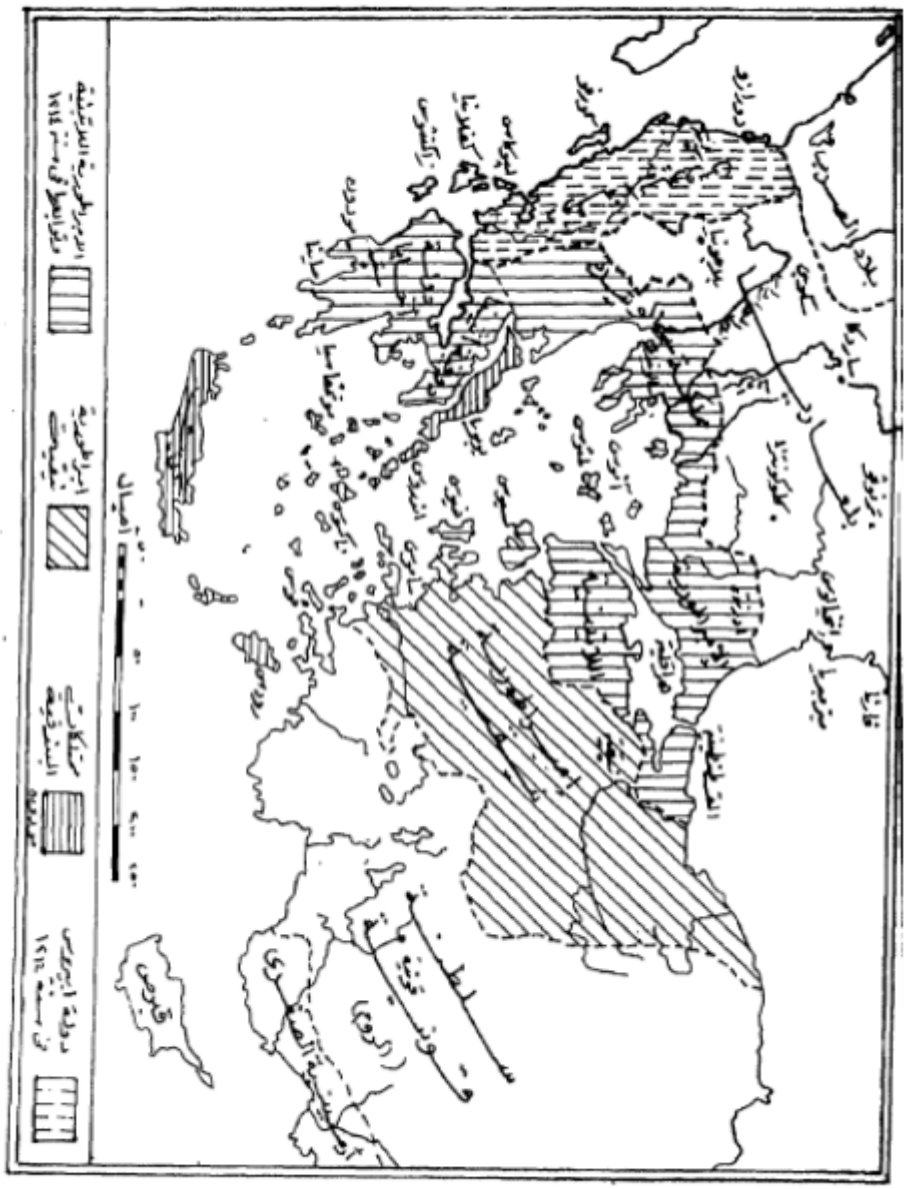
لقد كانت الأوضاع الداخلية لبيزنطة قد ساهمت هي الأخرى في هذا الانحراف بسبب النزاع على العرش، و استغلال الحملة لأميرها ألكسوس كحجة و ذريعة لإسقاط القسطنطينية.

ومن خلال هذا يتضح أن الحملة الصليبية الرابعة نسيت هدفها الأساسي، و طموحات قادتها و أحلامهم جعلها تتجه لمحاضرة مدينة القسطنطينية رغم أنها مدينة مسيحية و تتخذ الصليب شارة لها إلا أنها لم تسلم من الجنود اللاتين الذين عاثوا فيها فسادا و دمروا كنائسها وأحرقوا متاحفها كما لو أنها عدّوتهم، فهم لم يحترموا علاقة الدين التي تربطهم و قاموا بأبشع الأعمال التي خلدتها كتبهم.

لقد كان التجار البنادقة الأكثر استفادة من هذه الحملة خصوصا أنهم تاجروا بكنوزها و حصلوا على معظم المناطق البحرية التي سهلت عملهم التجاري،و هذا ما أشار إليه معظم المؤرخين، إذ اعتبروا أن التجار البنادقة هم من أسقطوا القسطنطينية.

كما أن الحملة الصليبية الرابعة سمحت باستقطاب الصلبين الموجودين في المشرق الإسلامي إلى الأراضي البيزنطية بعدما سيطر عليها اللاتين قصد الاستفادة من الإقطاعات و الثروات ما جعل معظم المؤرخين الغربيين يصفونها بالحملة الضالة كونها ظلّت طريقها باتجاه المسيحيين من دون المسلمين الذين لم تصل إليهم هذه الحملة.

الملاحق



انظر:ستيفن رانسيمان، الحضارة البيزنطية، تر، عبد العزيز توفيق جاويد،(د،ط) ،دار الهيئة المصرية ،القاهرة،2002،ص429.

الملحق رقم 03:صورة البابا انوسنت الثالث.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر العربية و الأجنبية:

أ-المصادر العربية:

1-ابن الأثير عزالدين،**الكامل في التاريخ**، تح، محمد يوسف الدّقاق، ج10، ط4، بيروت، 2003م.

2-ابن بطوطة شمس الدين،تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح، عبد الهادي التازي،ج2، (د،ط)، مطبوعات الأكاديمية المغربية، الرباط، 1997.

3-ابن خلدون عبد الرحمان، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج5،(د،ط)، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر،بيروت، 2000.

4-ابن واصل جمال الدين(ت697هـ)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تح،حسنين محمد الربيع ج5"، (د،ط)، دار الهيئة المصرية، القاهرة، 1983.

5-أبو المحاسن جمال الدين(ت874هـ)، **النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة**، قدم له، محمد حسين شمس الدين، ، ج6، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ،1992م.

6-أبو شامة شهاب الدين(ت668هـ)،الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية،علق عليه، ابراهيم شمس الدين،ج5،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،2000م.

7-بيبرس المنصوري ركن الدين(ت765هـ)، مختصر الأخبار، تح، عبد الحميد صالح حمدان، ط1، الدار المصرية، لبنان، 1993م.

8-الصوري ويليام ، **الحروب الصليبية**، تر، حسن حبشي، ج1،الأهرام ، القاهرة،1991م.

9-المقريزي تقي الدين(ت845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح، محمد عبد القادر عطاء،ج1،ط1،بيروت،1997م.

10ياقوت الحموي شهاب الدين،معجم البلدان، تح، مجموعة من الناشرين، ج3، (د،ط)، دار الصادر، بيروت،1977م.

ب_المصادر الأجنبية:

Geffroiu de Ville Hardoouin ,De la conquete de Constantinople, édit .,Gie Boulevard saint Germain,paris 1870.
Calarirebert. La conquetedeconstantinople. Editee par lauer , paris,1924.

المراجع العربية :

1-جوزيف نسيم يوسف،**تاريخ الدولة البيزنطية**، (د،ط)، دار المعرفة، الإسكندرية، 2005م.
2-الحريري سيدعلي،الأخبار السنية في الحروب الصليبية، ط3، دار الآثار، القاهرة،1985م.
3-حمدي عبد المنعم محمد حسين ، **دراسات تاريخ الدولة الأيوبية**،(د،ط)، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2000م.
4-ربيعمحمد حسنين، **دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية**،(د،ط)، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983م.
5-الشامي أحمد،صلاح الدين الأيوبي والصليبيون، ط1، مطابع سجل العرب، القاهرة،1991م.
6-عاشور سعيد عبد الفتاح ،**تاريخ أوربا في العصور الوسطى**، (د،ط)،دار النهضة العربية، بيروت.
7-عبد القوي زينب عبد المجيد ، **الانجليز والحروب الصليبية**، ط1، دار روتابرينت، القاهرة، 1996م.
8-عبد المنعم ماجد، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية، (د،ط)، دار الفكر العربي، القاهرة،1997م.
9-عبدالعظيم رمضان ، **الصراع بين العرب وأروبا**،(د،ط)، دار المعارف، مصر، 1983م.
10-عمران محمود سعيد ، تاريخ **الحروب الصليبية**، (د، ط)، دار المعرفة الجامعية، السويس، 2000م.
11-عمران محمود سعيد ،**الحملة الصليبة الخامسة**،(د،ط)، دار المعارف، الإسكندرية، 1985م.
عوض محمد، **الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق و الغرب**، ط1، دار عين، مصر الجديد، 1999م

12-غنيم اسمت ، **الحملة الصليبية الرابعة**، (د،ط)، دار المعارف، القاهرة، 1982م.

13-قاسم عبده قاسم،**ماهية الحروب الصليبية**،(د،ط)،دار روتابرينت،القاهرة ،1993م.

14-محمد سيد أشرف صالح،قراءة في تاريخ حضارة أروبا في العصور الوسطى، ط1، دار الكتاب العربي، لبنان،2008م.

15-محمد مؤنس أحمد عوض، فصول ببليوغرافية في تاريخ الحروب الصليبية، ط1،دار روتابرينت1996م.

16-النقاش زكي، **الحروب الصليبية وما نتج عنها من علاقات مع العرب والفرنج**،(د،ط)، الهيئة المصرية، القاهرة،1946م.

17-وهبه مصطفى ،**موجز الحروب الصليبية**، ط1،دار الإيمان،المنصورة، 1997م.

المراجع المعربة:

1_بيرن هنري، تاريخ أروبا في العصور الوسطى، تر، عطية القوصي، دار الهيئة المصرية، القاهرة، 1996م.

2-باركر أرنست، **الحروب الصليبية**، تر، السيد الباز العريني، ط2، دار النهضة العربية، بيروت،2006م.

3-براون جيفري، تاريخ **أوروبا الحديث**، تر، علي مرزوق، (د،ط)، الأهلية للنشر عمان، 2006م.

4-جوناثان ريلي-سميث، **الحملة الصليبية الأولى و فكرة الحروب الصليبية**، تر، محمد فتحي الشاعر، ط2، الهيئة المصرية، مصر، 1999م.

5-رانسيمان ستيفن، **الحضارة البيزنطية**، تر، عبد العزيز توفيق جاويد، (د،ط)، دار الهيئة المصرية، القاهرة2002م.

6-رنسيمان ستيفن ، **تاريخ الحملات الصليبية**، تر،نور الدين خليل، ج3، (د،ط)، مكتبة الشروق، القاهرة 2000م.

7-زباروفميخائيل، **الصليبيون في الشرق**، تر، الياس شاهين، (د،ط)دار التقدم، موسكو1983م.

8-عطية عزيز سوريال، **الحروب الصليبية و تأثيرها على العلاقات بين الشرق و الغرب**، تر، فليب صابر سيف، ط2، دار الجيل، القاهرة، 1988م.
9-معلوف أمين، **الحروب الصليبية كما رآها العرب**، تر، عفيف دمشقية، الطبعة الثانية، دار الفارابي، بيروت 1989م.
10-هايد فكتر، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، مراجعة، عز الدين فودة، ج1، دار الهيئة المصرية، القاهرة،1985م,

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر

إهداء

مقدمة.....أ

ماهيةالحروبالصليبية..... 6

فكرةالحروبالصليبية..... 6
مفهومالحركةالصليبية..... 9
أوضاعالغربالمسيحيقبيلالحملةالصليبيةالرابعة8 112-1200م 12
أوضاعألمانيا.....12
أوضاعبيزنطةقبيلالحملةالصليبيةالرابعة.....15
أحوالالمشرقالإسلاميقبيلالحملةالصليبيةالرابعة 16

II. الاستعداداتللحملةوانطلاقها(594ه/599ه- 1199م 1202م)...23

أسبابالحملةالصليبيةالرابعة..... 23
الأسبابالمباشرة 23
الأسبابغيرمباشرة.....26
سياسةالبابويةفيالإعدادللحملة (594ه/ 599ه/ 1198م/ 1201م).....27
المفاوضاتمعالبنادقة (598ه/ 599ه – 1201م/ 1202).....29
انحرافالحملةنحومدينةزارا (598ه/ 1202م).....33

III انحرافالحملةنحوالقسطنطينية (599ه /600ه 1203م/1204م).....38

دوافعانحرافالحملةنحوالقسطنطينية.....38
دوافعالبنادقة 38
دوافعالملكفيليبالسوابي 41
مسارالحملةنحوالقسطنطينية (599هـ - 600 هـ / 1203 م 1204م) ...45
محاصرةالقسطنطينيةواستعادةإسحاقانجيلوسالعرش 49
نتائجالحملةالصليبيةالرابعة..... 51
سقوطالقسطنطينيةوإقامةإمبراطوريةلاتينيةبها 51

خاتمة.....60

الملاحق.....63

قائمةالمصادروالمراجع.....67

فهرسالموضوعات.....72

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات الصفحة

شكر.

اهداء

مقدمة.....أ

1-المبحث التمهيدي: ماهية الحروب الصليبية.....6

I-1-فكرة الحروب الصليبية.....6

I-2- مفهوم الحركة الصليبية.....9

I-3- أوضاع الغرب المسيحي قبيل الحملة الصليبية الرابعة (1192-1200م..... 12

I-3.أ. أوضاع المانيا.....12

I-3.ب.أوضاع بيزنطة قبيل الحملة الصليبية الرابعة.....15

I-4-أحوال المشرق الإسلامي قبيل الحرب الصليبية الرابعة.....16

II-الإستعدادات للحملة وانطلاقها(594هـ/599هـ-1199م120.م.....23

II-1. أسباب الحملة الصليبية الرابعة 23

II-1.أ. الأسباب المباشرة.....25

II-1.ب.الأسباب الغير المباشرة.....26

II–2.سياسة البابوية في الإعداد للحملة (594هـ/599هـ/1198/1201م).....27

II–3.المفاوضات مع البنادقة (598هـ/599هـ/–1201م/1202م).....29

II–4.انحراف الحملة نحو مدينة زارا (598هـ/1202).....34

III –انحراف الحملة نحو القسطنطينية(599 هـ600هـ/1203م–1204).....38

III–1دوافع انحراف الحملة نحو القسطنطينية.....38

III–1.أ.دوافع البنادقة.....38

III–.ب.دوافع الملك فيلي السوابي.....41

III–2مسار الحملة نحو القسطنطينية599–600هـ/1204–1204م.....45

III–3محاصرة القسطنطينية من الصليبين.....49

III–4نتائج الحملة..... 51

III–5سقوط القسطنطينية وإقامة إمبراطورية لاتينيةبها..... 51

خاتمة..... 60

الملاحق.....62

قائمة المصادر والمراجع.....66

فهرس الموضوعات..... 72